الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الشاذلي بن جديد _ الطارف _

كلية الآداب واللغات قسم اللغة والأدب العربي

تجليات الثقافة الشعبية في كتاب "حكايات شعبية" لأحمد زياد محبّك

مذكرة مقدّمة لاستكمال متطلبات نيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي

الميدان: اللغة والأدب العربي

الشعبة: دراسات أدبية

التخصص: أدب شعبي

إعداد الطالبة: فضيلة زيداني

إشراف الأستاذة: سامية كعوان

لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
د/ قطر الندى بومعيزة	أستاذ محاضر – ب –	الشاذلي بن جديد – الطارف–	رئيسًا
د/ سامية كعوان	أستاذ محاضر – ب–	الشاذلي بن جديد – الطارف–	مشرفًا ومقررًا
د/ امباركة مسعودي	أستاذ محاضر – ب–	الشاذلي بن جديد – الطارف–	مناقشًا

السنة الجامعية: 2024 / 2025

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى :

﴿ يَرْفَعُ اللّهُ الّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِير﴾

صدق الله العظيم

إهداء

إلى المستريحين تحت ظلال الزّيتونة

والداي رحمهما الله .

شكر وعرفان

الشكر لله تعالى الذي منّ علينا بنعمة العقل وبسط لنا طريق المعرفة، ووهبنا الصّبر لإتمام هذه الدّراسة .

والشّكر بعد الله إلى جميع أساتذتنا الكرام الذين كانوا خير رفيق لنا في مشوارنا العلميّ،وعلى رأسهم أستاذتنا القديرة الدكتورة **"سامية كعوان "**

التي قبلت أن تكون مشرفتنا على هذا البحث ،فأغدقت علينا بنصائحها وتوجيهاتها القيّمة فكلّ الشّكر والتّقدير لجهودها العظيمة .

جعلها الله سراجا للعلم لا يفتر أبد الدّهر.

مقدمة

تمثل الحكاية الشعبية كنزا معرفيا وثقافيا، فهي تحوي بين طياتها أسرار الشعوب فمن خلال شخصياتها، أحداثها، أمكنتها، ولغتها استطعنا رسم صورة للمجتمع الذي تعبّر عنه، فاكتشفنا العادات والتقاليد والقيم والنظم الاجتماعيّة والأخلاقيّة وحتى الأحلام والآمال والآلام، فالحكاية الشعبية ساهمت في انتقال الثقافة الشعبية من جيل إلى جيل ومن مكان إلى آخر.

والثقافة الشعبية هي كل ما ينتجه عامة الناس قولا أو ممارسة أو سلوكا أو تصورا، للحياة أو الأشياء، وتشمل هذه الثقافة الجوانب المادية والمعنوية للحياة، وهي تحفظ بشكل واع أو غير واع الذاكرة الشعبية للمجتمع.

ولأجل معرفة مدى توظيف الثقافة الشعبية في الحكاية الشعبية، جاء بحثنا موسوما بـ: **تجليات الثقافة الشعبية في كتاب "حكايات شعبية" لأحمد زياد محبّك** ، ومن خلاله طرحنا الإشكاليّة الآتية:

– ماهي تجليات الثقافة الشعبيّة في كتاب "حكايات شعبية" لأحمد زياد محبّك ؟

والتي من خلالها يمكن طرح مجموعة من التساؤلات وهي:

– ما مفهوم الثقافة الشعبية وما خصائصها وتجلياتها ؟

– ما مفهوم الحكاية الشعبية، وما خصائصها وأنواعها ؟

– كيف تجلت الثقافة الشعبية في كتاب حكايات شعبية ؟

أمّا الأسباب التي دفعتنا لاختيار هذا الموضوع فهي أسباب ذاتية وموضوعية، تمثلت الأسباب الذاتية في الرغبة في دراسة الثقافة الشعبية العربية من خلال الحكايات

الشعبية، فكان اختيارنا لكتاب "حكايات شعبية" للباحث السّوري زياد محبّك، كونها مدوّنة باللغة الفصيحة فيكون من السهل فهمها، وأما اختيار الحكاية الشعبية دون غيرها من الأجناس الأدبية الأخرى فلرغبة ذاتية كوني كاتبة في مجال أدب الطفل (قصص)، فأردت التعمق في دراسة الموروث الشعبي وكيفية توظيفه في الحكاية الشعبية لأستلهم منه قصصا للأطفال. في حين تمثلت الأسباب الموضوعية في محاولة تقديم دراسة في مجال الدراسات الشعبية، التي تستدعي الاهتمام أمام قلتها، وذلك لما لها من أهمية ولاحتوائها على مختلف القيم الثقافة والاجتماعية.

وتتمثل أهداف البحث في معرفة تمثلات الثقافة الشعبية في الحكاية الشعبية العربية. وللإجابة على إشكالية البحث قمنا بتقسيمه إلى فصلين تسبقهما مقدمة وتلحقهما خاتمة، المقدمة مهدنا فيها للموضوع وطرحنا إشكالية البحث. أمّا الفصل الأوّل المعنون بـ: الثقافة الشعبية والحكاية الشعبية، فتطرّقنا فيه إلى الثقافة الشعبية فتناولنا مفهوم الثقافة الشعبية، خصائصها وتجلياتها، كما تطرقنا إلى "الحكاية الشعبية" وقد تناولنا مفهوم الحكاية الشعبية، خصائصها وأنواعها.

في حين جاء الفصل الثاني التطبيقي بعنوان " تجليات الثقافة الشعبية في كتاب "حكايات شعبية"، قمنا فيه بتقصي مظاهر الثقافة الشعبية بشقيها المادي واللامادي في الحكايات الشعبية.

أما الخاتمة فكانت خلاصة لأهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذا البحث.

وقد اخترنا المنهج الأنثربولوجي كونه المناسب لتتبع مظاهر الثقافة الشعبية في الحكايات الشعبية.

واعتمدنا على مصدر تمثل في كتاب "حكايات شعبية" لأحمد زياد محبك ومجموعة من المراجع نذكر منها:

- القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي لروزلين ليلى قريش.

- أشكال التعبير الشعبي لنبيلة إبراهيم.

- الثقافة العربية في عصر العولمة لتركي حمد.

أما عن الدراسات السابقة لهذا الموضوع فلم نعثر على دراسة تخص الثقافة الشعبية في كتاب حكايات شعبية، وإنما عثرنا على دراسة تشبهها من حيث التركيز على إبراز الثقافة الشعبية في الحكاية، وهي عبارة عن مقال بعنوان: " تجليات الثقافة الموصليّة من حكايات الموصل الشعبية مقاربة نقدية ثقافية "لياسين أحمد جار الله.

وبالنسبة للصعوبات التي واجهتنا فتعلقت بضيق الوقت، مع العدد الكبير للحكايات الشعبية التي يضمها الكتاب، فكان من الصعب رصد كل مظاهر الثقافة الشعبية فيه.

وفي الأخير لا يسعنا إلّا أن نتوجه بالشكر بعد الله عزّ وجلّ إلى المشرفة الدكتورة "سامية كعوان" على ما قدّمته لنا من دعم وتوجيهات ونصائح قيّمة فكانت سندا لنا خلال فترة إنجازنا هذا البحث المتواضع.

الفصل الأول

الفصل الأول: الثقافة الشعبية والحكاية الشعبية

أولاً: الثّقافة الشّعبيّة

1 – مفهوم الثقافة الشعبية

2 – خصائص الثقافة الشعبية

3 – تجليات الثقافة الشعبية

ثانياً : الحكاية الشعبية

1– أنواع الحكاية الشعبية

2 – خصائص الحكاية الشعبية

3– أنواع الحكاية الشعبية

يتميز كل مجتمع بثقافة تعكس عاداته وتقاليده والقيم السائدة فيه، هذه الثقافات تنتقل من جيل إلى آخر ومن مكان إلى آخر عبر الفنون والآداب، واللقاءات بين الشعوب وتمازجها، ولقد كانت الثقافة الشعبية من أهم مكونات الحكاية الشعبية لذلك أردنا التعرف على مفهومهما وخصائصهما، وأنواعهما.

أولاً: الثقافة الشّعبيّة

1 – مفهوم الثّقافة الشّعبيّة:

1-1- مفهوم الثقافة لغة:

ورد في لسان العرب لابن منظور:" ثقف: ثَقِف الشيء ثقفا وثقافا وثقوفة: حذقه، ورجل ثَقْف، وثَقِف، وثَقُفَ: حاذق فهم، وأتبعوه فقالوا ثَقْف لَقْنٌ، وقال أبو زياد : رجل ثقف لقف رام راوٍ .وقال اللحيانيّ : رجل ثَقْف لَقْف وثَقِف لَقِف وثقيف لقيف بيِّن الثقافة واللّقافة. ابن السكيت : رجل ثَقْف لَقْفٌ إذا كان ضابطا لما يحويه قائما به"[1].

فالثقافة حسب ما سبق تعني الإلمام بالشّيء وفهمه بسرعة "ويقال: ثقف الشّيء وهو سرعة التّعلّم، ابن دريد: ثقفت الشّيء حذقته، وثقفته إذا ظفرت به، قال تعالى: فإمّا تثقفنّهم في الحرب وثقف الرجل ثقافة أي صار حاذقا خفيفا مثل ضخُم، فهو ضخم، ومنه

[1] ابن منظور: لسان العرب،ج9، دار صادر، بيروت، ط3، 1975، ص20.

المثاقفة، وثقف أيضا ثقفا مثل تعب تعبا أي صار حاذقا فطنا، فهو ثقِف وثَقُفٌ، (...) وهو غلام لَقِنُ ثقف، أي ذو فِطْنةٍ وذكاء والمراد أنه ثابت المعرفة بما يحتاج إليه."[1]

أما ابن فارس في معجمه مقاييس اللغة فعرّف الثقافة بقوله:

"(ثَقِفَ) الثَّاءُ وَالْقَافُ وَالْفَاء كلمة وَاحِدَةٌ إِلَيْهَا يَرْجِعُ الْفُرُوعُ، وَهُوَ إِقَامَةُ دَرْءِ الشَّيْءِ. وَيُقَالُ ثَقَّفْتُ الْقَنَاةَ إِذَا أَقَمْتَ عِوَجَهَا.(...) وَثَقِفْتُ هَذَا الْكَلَامَ مِنْ فُلَانٍ. وَرَجُلٌ ثَقِفٌ لَقِفٌ، وَذَلِكَ أَنْ يُصِيبَ عِلْمَ مَا يَسْمَعُهُ عَلَى اسْتِوَاءٍ. وَيُقَالُ ثَقِفْتُ بِهِ إِذَا ظَفِرْتَ بِهِ. قَالَ:

فَإِمَّا تَثْقَفُونِي فَاقْتُلُونِي ... وَإِنْ أُثْقَفْ فَسَوْفَ تَرَوْنَ بَالِي

فَإِن قِيل: فَمَا وَجْهُ قُرْبِ هَذَا مِنَ الْأَوَّلِ؟ قِيلَ لَهُ: أَلَيْسَ إِذَا ثَقِفَهُ فَقَدْ أَمْسَكَهُ. وَكَذَلِكَ الظَّافِرُ بِالشَّيْءِ يُمْسِكُهُ. فَالْقِيَاسُ بِأَخْذِهِمَا مَأْخَذًا وَاحِدًا."[2]

ويقول مالك بن نبي "إنّ الفعل ثقف أصل لغويّ يتصل تاريخه بلغة ما قبل الإسلام، حتّى لنراه قد ورد في بعض آيات من القرآن الكريم من مثل قوله تعالى: ﴿واقتلوهُم حيثُ ثَقِفتموهُم﴾ [البقرة191]"[3].

وقد أثنى على الذي اشتق هذه الكلمة ووضعها واعتبره صنّاعا ماهرا في علم اللغة، إلّا أنّه اعتبر هذا المصطلح لم ينضج بعد ولا يعبّر على العلم الذي يمثّله على وجه الدّقّة والتّحديد إلا إذا ارتبط لفظ الثقافة بالمصطلح الأجنبيّ (culture) الذي يقابله. حيث

[1] ابن منظور: لسان العرب، ص 20.

[2] ابن فارس: مقاييس اللغة، ج1 تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، (د، ط)، 1979، ص65 .

[3] مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1984، ص 25.

يقول: "ولكن يبدو لنا أنّ كلمة (ثقافة) التي كان من حظها أن تختار لهذا المعنى، لم تكتسب بعد قوة التحديد لتصبح علما على مفهوم معين، وهذا هو ما يفسر لنا أنها بحاجة دائما إلى كلمة أجنبية، تقرن بها لتحديد ما يراد منها في الكتب التي تتصدى لهذا الموضوع"[1].

1-2- مفهوم الثّقافة اصطلاحا:

تعدد تّعريفات الثقافة بين علماء الاجتماع والانثربولوجيا، ولم يتفقوا على تعريف واحد بالرغم من شيوع استخدام مصطلحها على نطاق واحد، ومن بين هذه التعريفات "أنها نظام يتكون من مجموعة من المعتقدات والإجراءات والمعارف والسلوكات التي يتم تكوينها ومشاركتها ضمن فئة معينة، وتدل الثقافة على مجموعة من السمات التي تميّز أي مجتمع عن غيره، منها الفنون والموسيقى التي تشتهر بها والدين والأعراف والعادات والتقاليد السائدة والقيم وغيرها"[2].

والثقافة هي إحدى السّمات للإنسان الرّاقي والواعي لأنّها تمثل الجانب الفكريّ وتهتم بالمعتقدات التي توارثها الإنسان، "فالثقافة مجموعة العلوم والفنون والمعارف النظرية التي

[1] مالك بن نبيّ: مشكلة الثقافة، ص 25.

[2] عبد الله بوغوتة، ابتسام عبالسي: مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، م1، ع 1، أفريل 2024، ص 9.

تؤلف الفكر الشامل للإنسان فتكسبه أسباب الرقي والتقدم والوعي عن طريق التهذيب العقلي والتربية النفسية الخلقية"[1].

ترتبط الثقافة بالإنسان ونشاطاته داخل المجتمع الذي ينتمي إليه فهي تمثّل هويته وهو سبب وجودها وهذا يقودنا إلى التعريف الذي يعتبر أكثر شموليّة وهو للعالم الانثربولوجيّ تايلور حيث يقول: "الثقافة هي ذلك الكل المركب المعقد الذي يشمل المعلومات والمعتقدات والفن والأخلاق والعرف والتقاليد والعادات وجميع القدرات الأخرى التي يستطيع الإنسان أن يكتسبها بوصفه عضوا في المجتمع"[2].

وهي تشمل كل ما أوجده الإنسان في بيئته عبر التاريخ الطويل بما في ذلك اللغة والقيم والأدوات والأنظمة فهي نظام من الرموز والمعاني المشتركة بين الناس والتي تناقلوها جيلا بعد جيل وتتطور باستمرار بتأثير التغييرات فلا نبالغ إن قلنا أنّها "خاتمة التحليل فهي التي تقف وراء النشاط الحضاري للإنسان وهي التي تجعل الحضارات الإنسانيّة تختلف عن بعضها البعض نتيجة اختلاف المعايير الثقافية المحددة للنشاط الإنساني عامة"[3].

---

[1] خضر أحمد عطاء الله :دراسات في آفاق الفكر الإسلامي، دار الفكر للنشر والتوزيع، دبي، (د، ط) 1990، ص120.

[2] سامية حسن الساعاتي: الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافيّ، دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، 1983، ص 35.

[3] تركي حمد: الثقافة العربية في عصر العولمة، دار الساقي، لبنان، ط1، 1999، ص 16.

1-3- مفهوم الشعبية:

يعتبر مصطلح "الشعبيّة" من بين المصطلحات الأكثر تداولا ويختلف مفهومها حسب المجال المستخدم له فمعناه يختلف في الحقل السياسي والاجتماعي أو الثقافي أو الانثربولوجيّ أما لغة فهو مصدر صناعيّ لكلمة شعب، من "مادة (ش، ع، ب) الشعب: الجمع، والتفريق، والإصلاح والإفساد، والشعب القبيلة العظيمة وشعب من القبيلة وقيل القبيلة نفسها وجمع شعوب والشعب أبو القبائل التي ينسبون إليه أي يجمعهم ويعظمهم"[1].

أمّا اصطلاحا فهو مجموعة من الناس تختلف طوائفهم وطبقاتهم مجتمعين أو متفرقين، ومن خلال التعريفين يظهر أنّ هذه الكلمة حملت معنيين متناقضين وهما الجمع والتفريق "فمجمل القول أن مدلول كلمة الشعب مرادفة للجمع والتفريق والتباعد والانتشار والتوزع والخلود"[2]، فالشعبيّة من معانيها الرواج والانتشار بين الشّعوب فهي تدلّ على الذّيوع، رغم أنّ الكثيرون ربطها بالشعب باعتباره المنتج والمستهلك، "فالشعبية صفة لكل ما يصدر عن الشعب قولا، فعلا، ممارسة، سلوكا وتصورا للحياة والأشياء"[3].

في المقابل هناك من يرى بأنّ استعمال هذا المصطلح لا يخلو من تكريس الطبقية بين أفراد المجتمع كونه يطلق على الفئة البسيطة في المجتمع ويقابله مصطلح "الرسميّ "

[1] ابن منظور: لسان العرب، مج 7، ص 53.

[2] مرسي الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث، دار الوفاء للطباعة والنشر، (د، ط)، 1999، ص8 .

[3] عمر قبايلي: مدخل للثقافة الشعبية العربية، الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع7، ماي 2008، ص174 .

للدلالة على الفئة الراقية، وهو تقسيم تشوبه العنصريّة، "فهو مصطلح إيديولوجي لا يجد مبررا للاستعمال والتداول إلا في المجتمعات الطبقية التي تقسم مسألة السلطة والهيمنة ومواطنيها إلى طبقة مسيطرة مهيمنة وطبقة خاضعة محكومة (...) ولكل الطبقتين رؤياها وتصورها عن الواقع، تصوغ بهما أيديولجيتها المعروضة على الواجهة الثقافية، وفي هذه المجتمعات يصطلح على ثقافة الطبقية المسيطرة بالثقافة الرسمية، مقابل ثقافة الطبقة المحكومة المهيمن عليها"[1].

أمّا في المجال الانثربولوجي فقد ارتبط هذا المصطلح بالشعب باعتبار أنّ الفرد والذي يعتبر أفراد الشعب هو موجد الممارسات والسلوكات والعادات والتقاليد التي احتضنها الشعب وأصبحت تعبّر عن هويته ووجوده الحضاريّ "فالشعبي هو ما اتصل اتصالا وثيقا بالشعب إما في شكله أو في مضمونه، وأي ممارسة اتصفت بالشعبية تعني أنها من إنتاج الشعب أو أنها ملك للشعب"[2].

من معرفة معنى الثقافة والشعبية، يمكن القول أن الثقافة الشعبيّة هي مجموعة من الممارسات الثقافيّة والمعتقدات والتعبيرات الفنية والرموز والعادات والأشكال الترفيهية التي تنتج وتنتشر على نطاق واسع داخل المجتمع، وتشمل الثقافة الشعبية كذلك الأنشطة والمشاعر الناتجة عن التفاعل مع العناصر المكوّنة للبيئة المجتمعيّة، والتي عادة تكون

[1] محمد بزيكا: مفهوم الثقافة الشعبية بين المثقف العضوي والتقليدي، مجلة آفاق، الصادرة عن اتحاد كتاب المغرب، السلسة . الجديدة، ع9، يناير 1982، ص13.

[2] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعيّة، الجزائر، (د، ط)، 1998، ص9.

متوارثة أو مكتسبة وقد ورد تعريف الإرث الثقافيّ في المعجم الانثربولوجيّ "أنه الثقافة أو النتاج الثقافي الموروث من أجيال سابقة إلّا أنّه يجب التمييز بين الإرث الثقافي والإرث الثقافي المشترك"[1] وهذا يعني أنّ هناك مجموعة من الثقافات التي انتقلت من بيئة ثقافية إلى أخرى.

بالرغم من أنّ الثقافة الشعبيّة تنسب إلى عامّة الشعب إلّا أنها في الحقيقة تطال كل فئات المجتمع وطبقاته، باعتبارها إنتاج الجماعة الإنسانية التي تشترك في إيجاد نظام من الرموز والقيم التي تميزها عن غيرها من الجماعات، وهي بهذا "تعبير سوسيولوجي عن الاتصال البشري وتداخل القوى الاجتماعية تفاعلا وتصارعا، ثباتا وتغيرا"[2].

ومن خلال التعاريف السابقة نلاحظ أنها جميعا تصب في بوتقة واحدة، فالثقافة حسب هذا المفهوم هي جزء لا يتجزأ من الفلكلور أو التراث الشعبيّ بشقيه المادي والمعنويّ المتوارث جيلا عن جيل، إلّا أن الثقافة الشعبيّة تمثّل ذلك الجزء الحيّ من التراث الذي لايزال يمارس من قبل جماعة معينة، "فالتراث الحيوي هو التراث الذي نمارسه اليوم من لغة وعادات وتقاليد ومعارف وخرافات وتجليات أسطورية وأنماط معيشة

[1] إيكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الثنولوجيا والفلكلور، ترجمة محمد الجوهر وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2، (د، ت، ط)، ص 67.

[2] أرمان ماتلار: التنوع الثقافي والعولمة، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط1، 2008، ص 195.

وقيم اجتماعية ومختلف فنون الأداء ومهن تقليدية وسواها وهي متواصلة منذ عرفها الأجداد في الأزمان الغابرة"[1].

تبقى الثقافة الشعبيّة ذلك الإرث التقليدي الذي يحمله العامّة بكل فخر باعتباره جزء من هويتهم المميزة التي توارثوها جيلا بعد جيل والتي شاركوا في صناعتها وإيجادها وتشاركها "فهي التي أنتجها الناس بأنفسهم لأنفسهم"[2].

ومن خلال ما سبق يبقى التّعريف الأشمل هو "أنّ الثقافة الشعبية هي مجمل نشاطات المجتمع من ممارسات وأفكار أنتجها إشباعاً لحاجاته المادية والنفسية في سياق مستقل عن السلطة وعن النخبة العالمة ذات الاهتمامات المماثلة والعاملة على إشباعها بطرق مغايرة وأساليب مختلفة. وهي تعمل على نقل هذه النشاطات، وما ينشأ عنها من أصناف الإنتاج، من جيل إلى جيل باعتماد الذاكرة والكلام المعبر عن موجوداتها"[3]. فالثقافة ذات طابع اجتماعي، تتوارثها الأجيال.

[1] محمد سموري: الذاكرة الجمعيّة ومفهوم التراث الحيويّ ، مجلة الثقافة الشعبية، المؤسسة العربيّة للنشر والتوزيع، ع14، 2011، ص15.

[2] جون ستوري وآخرون :الكرنفال في الثقافة الشعبية، ترجمة خالد الحامد، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط1، 2017، ص 21.

[3] عاطف عطية: " الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي"، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين، ع31، 2015، ص 15.

2 – خصائص الثقافة الشّعبيّة:

كرّم الله عز وجلّ الإنسان بالعقل ما جعله دائم الابتكار، سواء في لباسه أو طعامه أو الأدوات المستخدمة لتسهيل حياته، أو في وسائل الترفيه عن نفسه وغيرها من الممارسات والأفكار والطقوس التي جعلته يتميز عن باقي المخلوقات، وهو ما يعرف اليوم بالثقافة ومن خصائصها:

أ – **مكتسبة:** فالثقافة لا تخلق مع الإنسان وإنّما يكتسبها من محيطه ومجتمعه، عن طريق الاحتكاك بمن حوله كأسرته وأقرانه وأفراد المجتمع الذي ينتمي إليه، فالثقافة نتاج اجتماعيّ وإنسانيّ، والتراث الذي يعتبر جزءا من الثقافة الشعبية مثلا "انتقل من شخص إلى شخص آخر وجرى حفظه إما عن طريق الذاكرة أو الممارسة أكثر مما حفظه عن طريق السجل المدون"[1].

ب – **انتقاليّة:** الثقافة الشعبية متوارثة جيلا عن جيل، فهي انتقلت عبر الأزمنة واكتسبها الإنسان عبر التنشئة الاجتماعيّة، "وعرفها كتراث من الماضي ينتقل إليه بواسطة التعليم الرسميّ وغير الرسمي"[2]، وهي كذلك تنتقل من مجتمع إلى آخر بتنقل الأفراد أو الجماعات عن طريق التثاقف، فالثقافة كائن يتحرّك ويتطوّر وينمو "كونها كائن متفرّد لم

[1] أمينة بلهاشمي، مساعدية نسيبة: الثقافة والثقافة الشعبية والتراث مفاهيم وتقاطعات، مجلة مقامات، مج 4، ع2، 2020، ص 45.

[2] سامية حسن الساعاتي: الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي، دار النهضة العربية، بيروت، 1983، ص35.

يخلقه الإنسان وإنما يحمله وأن هذا الكيان يمر بأطوار الإنسان (طفولة، شباب، كهولة..)"[1]

ج – **تراكميّة:** انتقال الثقافة عبر الأجيال وعبر المجتمعات يجعلها تتغير وتأخذ شكلا جديدا بسبب التطوير الذي يتسبب فيه المستقبل الجديد لها، حيث أن كل جيل يضيف أشياء جديدة للموروث الثقافيّ الذي يصل إليه، وهو ما يؤدي إلى ظهور أنماط ثقافيّة جديدة.

د – **تكامليّة:** الثقافة الشعبية ذات طابع تكاملي، أي أنّها مركبة من عدّة عناصر مادية ومعنوية تكمّل بعضها البعض.

هـ – **استمراريّة:** الثقافة الشعبيّة ملك للجماعة فهي مستمرة بوجود حامليها الذي يعملون بدورهم على نقلها للأجيال اللاحقة بالطريقة نفسها التي وصلت إليهم أي عن طريق التوارث، ولا تفنى الثقافة إلا إذا فني المجتمع الذي يمارسها، سواء بالقوة أو الحرب "ومن الثقافات التي اختفت بالقوة ثقافات الهنود الحمر في الأمريكيتين وثقافات السكان الأصليين لأستراليا فقد جاء الغزاة والمستعمرون الأوربيون بثقافة متقدمة هي المدنية الغربية وفرضوها بالقوة على تلك الأماكن وقضوا بالقوة أيضا على المجتمعات الأصلية في تلك الأماكن وبالتالي اختفت ثقافتهم الأصلية"[2] أو بظهور ثقافة جديدة وهذا أمر

[1] إيكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ص 68 .

[2] محمد جميل: خصائص الثقافة، كلية الآداب، قسم الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع، الجامعة المستنصرية، ع8، ص14.

صعب الحصول في أرض الواقع، كون الإنسان متمسّك بماضيه الأصيل فهو جزء من هويته، وفي هذا يقول عبد الرحمن طه: "لا نظن أن الاهتمام بالتراث هو اهتمام بماض لا فائدة من ورائه، حتى نخشى على أنفسنا الاستغراق فيه بالقدر الذي يحجبنا عن الاهتمام بالحاضر(...) والحق أن التعامل مع التراث الأصلي، كان وسيبقى مطلوبا لنا كلما أردنا أن نجدد ثقتنا بقدراتنا"[1].

والحقيقة أنّ الثقافة استطاعت أن تصمد وتستمر متحدية الزمن، وستبقى ببقاء حامليها لتعبر عن كيانهم وتراثهم واهتماماتهم "فهي وسيلة المجتمعات للاستمرارية في الماضي وفي الحاضر وفي استشراف المستقبل، إنها مرآة تنعكس فيها أحوال الثقافة والحضارة"[2].

و- الواقعيّة: يعتبر العديد من الدارسين بأن الظواهر الثقافية شأنها شأن الظواهر الاجتماعيّة مرتبطة بالواقع المعاش للإنسان، فبالتالي يمكن دراستها دراسة موضوعيّة، باعتبارها تؤثر على سلوك الأفراد وتعبّر عن طريقة إدراكهم للواقع، فالثقافة ماهي إلا انعكاس لحياة الشّعوب.

ز- الانتشار: ربما لا نبالغ إن قلنا أنّ أهم صفة للثقافة الشعبية هي سعة انتشارها لذلك توصف بالشعبيّة أي أنّها ذات رواج كبير، "فهي تحظى بتفضيل واسع النطاق، أو

[1] عبد الرحمن طه: حوارات من أجل المستقبل، منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د، ط)، 2000، ص 12.

[2] حسن بدوح: الثقافة الشعبية العربية وتحديات الثورة الرقمية، ندوة الشارقة العلمية الدوليّة الثقافة الشعبية الحاضر ومسارات المستقبل، أبو ظبي، (د، ط)، 2020، ص72.

بإعجاب بالغ من قبل الكثير من الناس"[1]، ونجد الثقافة الشعبية منتشرة في المجتمعات ومختلفة باختلاف حامليها، فهي إحدى الضوابط التي تحدّد حيّز مجتمع ما إلى جانب المكان والدين واللغة.

ك – متجدّدة: دائما ما ارتبطت الثقافة الشّعبيّة بموروث الأجداد لكن لا يعني ذلك أنّها ليست متجدّدة فالعديد من المظاهر الثّقافيّة الشعبية هي نتيجة التّثاقف مع المجتمعات الأخرى بسبب الانفتاح الإعلاميّ الذي شهده القرن الأخير، إلى جانب الحملات الاستعمارية التي حملت ثقافات دخيلة عن المجتمعات التي تبنتها الشّعوب فيما بعد، إلى جانب أنّ عقل الإنسان لا ينضب من الأفكار الجديدة، "تبقى الثقافة الشعبية على توجهها الموصول مع الماضي، والمتجدد بعناصر ثقافية حديثة متأتية من خبرات مجتمعية دائمة التأثير، ومن طرق المثاقفة التي تضفي عناصر جديدة على الثقافة الأصيلة، بشقيها النخبوي والشعبي، بحكم التواصل الدائم والمستمر مع ثقافات المجتمعات الأخرى"[2]، فباستمرار الثقافات تحفظ الذاكرة الشعبية.

[1] جون ستوري، وآخرون: الكرنفال في الثقافة الشعبية، ص 23.

[2] عاطف عطية: "الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي، مجلة الثقافة الشعبية، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، البحرين، 2015،ع 31، ص 16.

3 . تجليات الثقافة الشعبية:

تعتبر الثقافة الشعبية نوع من الموروث الذي يتناقله أبناء المجتمع الواحد جيلا عن جيل في أشكال مختلفة كالعادات والتقاليد والمعتقدات الفكرية والدينية إلى غير ذلك، وتتمظهر الثقافة الشعبية في مظهرين أساسيين وهي الثقافة المادية واللامادّية وكلا المظهرين يتداخلان مع بعضهما البعض باعتبار أنّ "لكل موضوع من موضوعات الثقافة الشعبية جانبا ماديا يعبّر عن جانبه اللامادي. وبالتالي لا وجود لما هو غير مادي إذا لم يظهر إلى العلن. ولا يظهر بمظهره العلني إلا بتوسّل ما هو مادي. حتى في انتقال كل ما هو شفوي من جيل إلى جيل باعتباره لا مادياً، كان يتم انتقاله في حلقات واسعة من الرجال والفتيان يقضون أوقاتاً طويلة في تكرار تاريخ أجدادهم لتصير محفوظة لديهم"[1]، وعليه يمكن القول أنّ الدراسات السابقة عن الثقافة الشعبية تقسمها إلى ثقافة مادية، وثقافة لامادية.

أ- الثقافة المادية:

تعتبر الثقافة المادية من أهم مجالات التراث الشعبي، وهذا راجع إلى ارتباطها ارتباطا مباشرا بالاحتياجات اليومية للإنسان، وتشمل جميع الأشياء المحسوسة التي صنعها أو استخدمها الإنسان منذ وجوده إلى اليوم، أي كل ما أوجده من عناصر وأشياء والتي تخضع دائما لعامل التعبير والتي سعى الإنسان لاكتسابها واختلاقها لإشباع حاجاته

[1] عاطف عطية: "الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي، ص 20.

الأساسية. كما "تهتم بما يدل على حضارة المجتمع وتاريخه المجيد باعتبارهما من الإنجازات العالمة والرسمية، بما هي قلاع وحصون وقصور وأدوات وألبسة ومجوهرات وآثار دخيلة المتاحف والمراصد الثقافية"[1].

وهي تشمل ميدان العمارة بشكل عام وما يحتويه كالمواقع الأثرية والمدن والمتاحف والمباني والمنشآت ومختلف وسائل النقل وكذلك الآداب والفنون كما يطلق عليها بالتراث الأدبي والفني ويتمثل في الملابس والحلي والآلات الموسيقية والمخطوطات والصناعات والحرف اليدوية"[2].

وهذا النوع من الثقافة يجري تداوله عن طريق التناقل الشفهي، والشفهية هنا لا تعني مجرد التلفظ بالكلام، وإنما المقصود بها التواصل الشخصي المباشر، "وأهم ما يميز الثقافة المادية هو أن من مكوناتها رغم تنوعها واختلافها تختص بالملموس من صنع الإنسان بغض النظر عن حجمه أو استخدامه وهو ما يجعلها تسمى بالثقافة المادية"[3].

فالثقافة المادية إذن هي تراث مادي ملموس ترتبط بمنتجات السلوك البشري أي ما يستعمله الإنسان في حياته وتمتاز بالتغير والتنوع وترجع أهميتها في أنها تجعلها

[1] عاطف عطية: "الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي، ص 21.

[2] التجاني مياطة: دور التراث المادي واللامادي لمجتمع واد سوف، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، ع06، جامعة الواد، الجزائر، أفريل، 2014، ص155، 156.

[3] المرجع نفسه، ص 156.

تستخلص الكثير من حياة الشعوب البدائية وثقافتهم من خلال مخلفاتهم المادية وكذلك يمكننا التعرف على ماضي بعض القبائل والجماعات التي ليس لها تاريخ مكتوب.

ب- الثقافة اللامادية:

وهي عبارة عن العادات والتقاليد والمفاهيم والقيم والاتجاهات والاعتقادات التي تؤمن شعوب معينة ومجتمعات دون غيرها وتعتمد على كل ما يبتكره الإنسان ويستخدمه من تفسير سلوكه وأفعاله وتوجيهها ولكن يشترط أن لا يخرج عن نطاق عقله أو تفكيره فهي تمثل جميع السمات الثقافية غير الملموسة كالمهارات الفنية والمعايير والمعتقدات.

فهذا اللامادي "في مجال النشاط الذهني للإنسان هو الذي لا يمكن أن يتجلى إلا في الإطار المادي، ويظهر إلى العلن بتوسل آلة مادية، مهما كان موقعها. وعليه، فالأدب الشعبي بكل أنواعه تعبير عن فعل إبداعي إنساني في موضوعات إنسانية تغذي حس الاستماع والاستمتاع (....) فالحكواتي كائن بشري يتوسل ذاكرته وحركته، لإيصال ما هو لامادي"[1].

إذن فالثقافة اللامادية تتضمن العرف وقواعد السلوك والأخلاق والقيم والتقاليد واللغة والفنون وكل عناصر السيكولوجية التي تنتج عن الحياة الاجتماعية والتي تتمثل في القيم

[1] عاطف عطية: الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي، ص 20.

والمعتقدات والعادات والنظم الاجتماعية والرموز والأسطورة والحكاية والأمثال التي تعد جوانب لا مادية للثقافة. وللثقافة اللامادية نوعان حسب بعض الباحثين:

– الثقافة الشّعبية اللامادية القوليّة وتشمل والأمثال والحكم والأغنيات والحكايات والنكت والألغاز والدعوات والنداء وما يكتب من كلمات وجمل على الجدران وعلى الأبواب وشواهد القبور وغيرها.

– الثقافة الشعبية اللامادية الفعلية وهي كلّ "يتضمن الاحتفالات والأعياد والمناسبات من زواج ووفاة وولادة ورقص والألعاب والزيارات"[1].

من خلال ما تقدّم طرحه عن الثقافة المادية واللامادية يمكن القول أن الثقافة بشقيها المادي واللامادي تعبر عن عقلية المجتمع على المستوى الفردي والجماعي لأن كل منهما يتأثر بالآخر وبالتالي فالثقافة الشعبية توحّد الأفراد وتضع لهم قواعد سلوكية مشتركة تحوي ثقافة معينة تحدد رؤية كل فرد لما يحيط به وكيفية التعامل معها.

ثانياً: الحكاية الشعبية

الأدب الشّعبيّ هو ذاكرة الشّعوب وإرثها الشّفويّ المحكيّ يعكس بصدق الماضيّ بكلّ ما يضمّه من عادات وتقاليد وطقوس ومشاعر فرديّة أو جماعيّة، فهو شكل من أشكال التّعبير، نشأ وتطوّر داخل المجتمعات الشّعبيّة، به يعبّر الشّعب عن خلجاته

[1] التجاني مياطة: دور التراث المادي واللامادي لمجتمع واد سوف، ص156.

النّفسيّة واهتماماته الرّوحيّة ومداركه الوجدانيّة العقليّة، وهو بذلك "ينبع من الوعي واللاشّعور الجمعيّ"[1]. أي يصدر من الأفعال والتعابير الواعيّة ذات الجذور النّفسية المشكّلة لهويّة الأفراد عبر الأجيال.

وقد نسب هذا الأدب إلى الشّعب لأنّه يعبّر ويصل إلى الشّعب بكلّ طبقاته ومستوياته وأفراده فهو الأدب الذي اصطفاه الشّعب ليعبّر به عن اهتماماته وخلجاته، لذلك "اختار اللغة العامية حتّى يستطيع الوصول إلى جميع أفراد الشعب وكل جماعة تتناوله بلهجتها الخاصة مع استمرار احتفاظه بخصائصه الشعبية"[2]. وعليه فاللّغة العاميّة هي إحدى خصائص الأدب الشّعبيّ إلى جانب مجهوليّة مؤلّفه، وتوارثه جيلا بعد جيل عن طريق المشافهة.

ومهما اختلفت تعريفات الأدب الشّعبيّ وتعدّدت فكلّها تصبّ في وعاء واحد وهي أنّ الأدب الشّعبيّ هو ذلك "الأدب الذي أنتجه فرد بعينه ثمّ ذاب في ذاتيّة الجماعة التي ينتمي إليها مصورا همومها وآلامها في قالب شعبي جماعي يتماشى ونظرتها ومستواها الفكري والثقافي واللغوي وموقفها الإيديولوجي إزاء المجتمع"[3].

ويشترك الأدب الشّعبيّ مع الأدب الرّسميّ في الأجناس الأدبيّة المنضويّة تحت لوائه فنجد الفنون الشّعريّة والفنون النثريّة هذه الأخيرة التي تضمّ المثل السّائر واللغز والنكتة والنادرة

[1] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي، دار نهضة مصر للطّبع والنّشر، القاهرة، (د، ط)، (د، ط، ت)، ص 3.
[2] هشام عبد الله ورو: من فنون الشّعر الشعبي في تهامة، وزارة الثّقافة والسّياحة، صنعاء، 2004، ص 8.
[3] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص14 .

والأساطير التي تقصّها العجائز والملاحم والسّير التي يرويها الروّاة والقصص والحكايات التي يسردها كلّ أطياف المجتمع كبارا وصغارا، نساء ورجالا لما فيها من عبر وتسليّة وتشويق تشدّ المستمع إليها فالحكاية ترتبط بالثقافة الشعبية إذا من خلال أحداثها المختلفة لذلك لقيت اهتماما من الباحثين.

تعتبر الحكاية الشّعبيّة من أبرز فنون الأدب الشّعبيّ وأكثرها انتشارا، استطاعت أن تؤرّخ للمجتمعات والأمم نمط معيشتهم وطريقة تفكيرهم، عن طريق تناقلها من الجدّة إلى الأحفاد، وذيوعها في القرى والمدن والمقاهيّ والأسواق ومختلف التّجمعات الشّعبيّة عن طريق الراوي أو الحكواتيّ، وهو ما أكسبها المرونة وسرعة الانتقال بين الأجيال والمجتمعات. إلى جانب أنّها تعبّر عن آمال الشّعب وأحلامه وآلامه وتطلّعاته ما جعلها متنفّسا لهمومه وقبل معرفة أنواعها وخصائصها سنتعرّف على مفهومها لغة واصطلاحا.

1- مفهوم الحكاية الشعبية

1 - 1 مفهوم الحكاية لغة:

وردت الحكاية في أغلب معاجم اللغة العربية بمعاني المشابهة والاقتداء والإحكام ففي معجم العين للفراهيدي في مادة (حكى): يقال "حكيت فلانا وحاكيته إذا فعلت مثله أو قوله سواء"[1]، فهي بمعنى المشابهة والتقليد والمماثلة.

[1] الخليل بن أحمد الفراهيدي: كتاب العين، تحقيق عبد الحميد الهنداوي، دار الكتب العلميّة بيروت، لبنان، 2003، ص400.

أما في معجم المقاييس لابن فارس "حكي: الحاء والكاف وما بعدها معتل أصل واحد، وفيه جنس من المهموز يقارب معنى المعتل والمهموز منه، هو إحكام الشيء بعقد أو تقرير، يقال حكيت الشّيء احكيه وذلك أن تفعل مثل الأوّل، يقال في المهموز: أحكأت العقدة إذا أحكمتها، ويقال: أحكأت ظهري بإزاري إذا شددته"[1].

2 – 1 مفهوم الحكاية اصطلاحا:

الحكاية الشعبية من أشكال التّعبير الشّعبيّ الشفهيّ الذي يتداوله الشّعب بلغته العاميّة جيلا بعد جيل، وكما عرّفها الدكتور محمد سعيدي "هي محاولة استرجاع الأحداث بطريقة خاصة ممزوجا بعناصر كالخيال والخوارق والعجائب ذات طابع جمالي تأثيري نفسيا واجتماعيا وثقافيا"[2]، فالحكاية يرتكز وجودها على الواقع والبيئة التي نشأت فيها، وإضافة الخيال إليها جاء بعد تناقلها وترددها على الألسن بدافع التّسليّة، "فالحكاية الشعبية قصة ينسجها الخيال الشعبي حول حدث مهم، وأنّ هذه القصة يستمتع الشعب بروايتها والاستماع إليها إلى درجة أنّه يستقبلها جيلا بعد جيل عن طريق الرواية الشفوية"[3].

ولم تعتمد الحكاية الشّعبيّة على الخيال فقط، ولم يكن دورها إمتاع النّاس فحسب بل كان لها دور أهم أفيد فهي "وسيلة للتعبير الحر عن آراء الإنسان في الحياة وفي الناس، وكثيرا ما تستخدم القصة في هذا الدور خاصة في عهود الاستبداد عندما تنعدم

[1] ابن فارس: مقاييس اللغة، ص922.

[2] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 55.

[3] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي، ص 92 .

حرية التعبير ويصبح التصريح بالحقيقة يثير غضب الملوك والأمراء والحكام فدورها عندئذ دور كبير في نقد الإقطاعيين والمجتمعات الخاضعة لهم"[1]. وهو الاتجاه نفسه الذي ذهب إليه الإنجليز والألمان حيث يرون أنّ الحكاية ترتبط ارتباطا وثيقا بالواقع وأنّها سرد لحدث قديم وقع بالفعل فعرّفوها "بأنها حكاية يصدقها الشعب بوصفها حقيقة، تطورت مع تطور العصور وتتداول شفاها، كما أنها قد تختص بالحوادث التاريخية الصرفة أو بالأبطال الذين يصنعون التاريخ"[2].

وسواء كانت الحكاية الشّعبية تستمد وجودها من الخيال أو الواقع فهي نتاج فكريّ بديع أنتجته الشّعوب عبر تاريخها الطّويل، وأودعت به أروع ما مرّ بها من أحداث وحكايات فجاءت لتعكس خلاصة تجاربها وتعطي صورة حيّة عن واقع الأمّة عبر مراحل تاريخها العتيد، تتجلّى فيها حكمة الشعب ومقوّماته الفكريّة والنّفسية والاجتماعيّة، ومن ثم فهي جزء مهم من تراثه.

2- خصائص الحكاية الشعبية:

باعتبار الحكاية الشعبية جزء من الأدب الشّعبيّ، فهي تشترك معه في خصائصه من حيث أنّه أدب مجهول المؤلّف، عاميّ اللغة، متوارث جيلا بعد جيل بالرواية الشّفويّة، إلى جانب أنّها أداة تأريخ لأحداث وعادات وتقاليد وطقوس الشّعوب التي انحدرت منها،

[1] روزلين ليلى قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط 4، (د، ت، ط)، ص 8.

[2] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي، ص 91.

فهي "تصوير للواقع المزيف، وفي أحيان كثيرة للواقع الحقيقي الاجتماعي الذي يتحول إلى سرد عجائبي خارق للواقع المألوف مع التقيد بالتصوّرات الموروثة"[1]، وعليه يمكن تحديد الخصائص الآتية للحكاية الشعبية:

أ – **مجهوليّة المؤلّف:** يجهل المبدع الأوّل للحكاية الشّعبيّة، ولأنّه جزء من الجماعة الشّعبيّة التي ينتمي إليها، المعبّر عن آمالها وآلامها وهويتّها الثّقافيّة والاجتماعيّة، سرعان ما تذوب ذاتيته في الإبداع الجماعيّ، "فبمجرد أن ينتهي المبدع من عمله، تحتضنه الجماعة وتتداوله بالزيادة أو النقصان وبالتالي كل فرد يرسمه بذاتيته وليس باسمه"[2]، فالحكاية إذن عمل إبداعيّ متجدّد تتغيّر بتغيّر الرّاوي دون أن تفقد دلالتها التي وضعها المبدع الأوّل المجهول.

ب–عاميّة اللّغة: أجمع الباحثون أنّ لغة الحكاية الشّعبيّة يجب أن تدوّن كما تسمع من روّاتها دون تحريف، فهي سرّ ديمومتها واستمرارها بين النّاس، لذلك فاللغة العاميّة هي لغة الحكايات الشّعبيّة لأنّها لغة الشّعب الذي يتناقل هذه الحكايات ويتوارثها جيلا بعد جيل من الأجداد إلى الأحفاد، ومن تجمّع إلى آخر، ما يجعل لغتها العاميّة متغيّرة بتغيّر القوم الذين يسردونها، "فهي أحدوثة يسردها راوية في جماعة من المتلقين، وهو يحفظها

[1] سهام سديرة: القصص الشعبي الجزائري أهميته وأنواعه، مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع38، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة، جوان 2018، ص 354 .

[2] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 20 .

مشافهة عن راوية آخر، ولكنه يؤديها بلغته، غير متقيّد بألفاظ الحكاية، وإن كان يتقيد بشخصياتها وحوادثها"[1].

ج- المشافهة: استطاعت الحكاية الشعبية أن تصمد في وجه الزّمن وتنتقل عبر ثناياه من جيل إلى جيل ومن مكان إلى آخر عبر الذّاكرة والأفواه التي تناقلت أحداثها بكلّ شغف، ما جعلها تحافظ على مكانتها في نفوس النّاس لأنّها لم تفقد تلك الخصائص التي تميّزها عن باقي أشكال التّعبير الأخرى.

إن الشخصيات الخياليّة التي جعلتها تعيش في واقع الشّعوب وتتحرك وسط أحداث عجائبيّة في جو مشحون بالعادات والتقاليد والطقوس المتوارثة، جعلت المتلقين في حالة من التّشويق المتجدّد لسماع الحكايات، فكان سردها فن يختص به فئة من النّاس، فكان هناك تجمعات شعبيّة لسماع القصص كسير الأبطال ومغامراتهم، فكان الراوي يتفنن في السّرد معتمدا على الايماءات والايحاءات الجسديّة وأحيانا التّمثيل ليصل إلى هدف الحكايات وهي التأثير في النّاس وإمتاعهم، فكانت القناة الفعّالة لتناقل الحكايات الشّعبيّة هي الرواية الشفاهيّة لأنّها تتناسب وطبيعة المادّة الإبداعيّة من جهة والمستوى الثقافيّ للشّعب من جهة أخرى، "إن غياب الكتابة وانعدام التدوين قد أضاعا جزءا مهما من هذا

[1] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 145.

الأدب في مرحلته الأولى"[1] إلا أن جاء الأخوان جريم وبادرا بتدوين الحكايات الشعبية الألمانية، وتبعهما الكثير من الدارسين في شتى بقاع العالم لحفظ التراث من الزوال.

د- الخيال والعجائبيّة: تعتمد الحكاية في بنائها السّرديّ على الابتعاد عن الواقعيّة والميل إلى العجيب والخارق سواء في الأحداث أو الشّخصيات، فنجد مثلا للبطل مهارات خارقة كالاختفاء والطيران ومعرفة المستقبل، ونجد شخصيات خياليّة كالعفاريت والجان والغول، وكلّها خرافات نسجها المخيال الشّعبيّ لهدف معيّن، إمّا وظّفها كرموز لظواهر واقعيّة أو لتهذيب الأطفال وتخويفهم أو هي تعبير عن المعتقدات والطقوس التي كانت سائدة في حقبة من الحقب الزّمنيّة الغابرة، "ما وصل إلينا وما احتفظت به الذاكرة الشعبيّة وتوارثته عبر الأجيال عن طريق المشافهة جاء معبرا عن حياة الإنسان البدائي ومعتقداته السحرية ومظاهره الغرائبية والعجائبية وممارسته الطقوسية والسحرية"[2].

هـ-الواقعيّة: اعتماد الحكاية الشعبية على الخيال والخوارق لا يعني أنّه ليس لها جذور مرتبطة بالواقع والتّاريخ فهي كما وردت في المعاجم الإنجليزيّة حكاية يصدّقها الشّعب بوصفها حقيقة، وهي تتطور مع العصور وتتداول شفاها، كما أنها تختص بالحوادث التاريخية الصرف وبالأبطال الذين يصنعون التّاريخ"[3].

---

[1] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص17.

[2] المرجع نفسه، ص17 .

[3] انظر، نبيلة إبراهيم، أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 91.

وتظهر واقعيّة الحكاية الشعبية كذلك في العلاقات العائليّة وعلاقة الفرد بأسرته وبقبيلته، وبواجباته تجاهها فهي تصوّر العادات والتّقاليد التي تحكم المجتمع، فنجد الحكايات تمجّد الأخلاق الفاضلة وتنبذ السّلوكات السّيئة، "فإن القصة الشعبية التي تهدف إلى تمجيد الأفعال تبدو أنها نسيج من الخيال الشعبي حول حدث يهم الشعب بوصفه ويستمتع بروايته، سواء أكان هذا الحدث يدخل في نطاق الأسرة أو القبيلة أو في نطاق أوسع يشمل الشعب بأسره فالقصة عند ذلك تسجل الحدث بصفة واقعيّة بالرغم من البعد الزمني"[1].

3 . أنواع الحكاية الشعبية:

اختلف الباحثون في تصنيف الحكاية الشّعبيّة، على حسب المعايير والأنماط التي استندوا إليها في تصنيفاتهم، فهناك من يتخذ طولها مقياسا فصنفوها بين الطويلة والقصيرة وشديدة القصر، وهناك من يصنّفها على حسب الوظيفة التي تؤدّيها أو الشخوص التي تتكون منها فنجد: حكاية الحيوان وحكايات الجان وحكايات الأبطال وغيرها، ونحن في تصنيفنا اعتمدنا على هذا التّصنيف مع التّركيز على الأنواع التي تتقاطع مع بعض أشكال التّعبير الأخرى كالمثل والشعر والنكتة لأنّها تخدم بحثنا وهذه الأنواع "قد أوردها باصديق في حديثه عن الحكاية الشعبية في اليمن بقوله :وقد تفرعت الحكاية الشعبية إلى

[1] روزلين ليلى قريش : القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص102 .

فروع، فنشأت منها الخرافة، وحكايات النوادر، ويكثر فيها المرح والضحك، والتندر بالآخرين، وحكايات الألغاز ومنها حكاية الأمثال"[1].

أ – **الحكاية الخرافيّة:** لقد وجدت الحكاية الخرافيّة مع وجود الإنسان فهي قديمة قدم وجوده على سطح الأرض، وأصولها ضاربة في التّاريخ فقد "تكونت في الأصل من أخبار مفردة نبعت من حياة الشعوب البدائيّة وتصوراتهم ومعتقداتهم"[2]، فأثار المعتقدات القديمة لازالت تنبض حياة في ثنايا القصص الخرافيّة، فنجد السحر والجان والعفاريت والخوارق كعناصر محرّكة للأحداث، فأبطال هذه الحكايات لا تتحقق بطولتهم إلّا في ظل توفر هذه العناصر، "فعالمها سحري وعجيب، أبطالها في صراع دائم مع الغول والجن والعفاريت"[3].

وعلينا الإشارة أنّه ليست كل الحكايات الخرافيّة موغلة في القدم وأنها شاهدا على حكم عميقة، "فبعض الحكايات الخرافية لم تتخذ صورتها التي تبدو عليها اليوم إلا في عصور متأخرة، إذ أن الخيال اليقظ الذي يتملكه القصاصون الموهوبون والمتعة في التشكيل والتزيين بل القصد في التعليم أحيانا كل هذا غيّر من شكل الحكاية الخرافية"[4].

---

[1] آسيا محمد محمد المجربي : الحكاية الشعبية في مديرية العرش، مجلة جامعة بيضاء، المجلد 3، العدد2، أغسطس 2021، ص974 .

[2] نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير في الأدب الشعبي، ص 56 .

[3] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 57 .

[4] فروريش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، مصر، (د، ط)، (د، ت، ط)، ص10.

وقد عرّفت روزلين ليلى قريش الحكاية الخرافيّة بأنّها "حكاية طويلة مملوءة بوقائع خيالية وقد تكون حقيقية في الأصل يرسل الحاكي فيها الكلام كما يواتيه طبعه غير ملتزم قواعد دقيقة بل على حسب ما أوحاه خياله"[1].

وتتمثل وظيفة الخرافة في الكشف عن نموذج الحياة التي ينبغي أن يعيشها الإنسان خفيفا وجيها، مغامرا مثابرا، مليئا بالتفاؤل كثير البحث والتساؤل مؤمنا بالقوة السحرية الكامنة في عالم الغموض، "وكذا التعبير عن مشكلات الإنسان الشعبي ورغباته وآماله الملحة في تغيير وجوده الداخلي والوجود الكلي"[2].

لذلك دعا الباحثون إلى الاهتمام بالخرافة لأنّ فهم أصولها هو فهم لمعتقدات الإنسان القديم كونه كان يؤمن بها حيث يقول الباحث شوقي عبد الحكيم "من المفيد إعطاء اهتمام خاص للخرافة المحلية وظواهرها على طول البلدان العربية نظرا لعلاقتها الشديدة بالأصول والمنابع الأولى للميثولوجيا العربية السامية"[3]، وفي هذا إشارة واضحة إلى كون الخرافة لم توجد من قبل الإنسان الأوّل لأجل التسلية بل كانت معتقدا يؤمن به.

[1] روزلين ليلى قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي، ص 104.

[2] رابح العوبي: أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعة باجي مختار عنابة، (د، ط)، (د، ت، ط)، ص 28.

[3] شوقي عبد الحكيم: الحكايات الشعبية العربية، دار هنداوي، مصر، (د، ط) ،2018، ص34.

ب – الحكاية المثليّة: تعتبر الحكاية المثليّة "نوعا كلاسيكيا من أنواع الجنس القصصيّ"[1] يتمحور هذا النّوع من الحكايات حول المثل الشّعبيّ الذي يكون كعبرة في نهاية الحكاية، أراد المبدع الشّعبي نشره بين الناس، فلجأ إلى الفضاء القصصي بأحداثه وشخصياته وأمكنته وأزمنته من أجل خلق قول مّأثور يرسخ في أذهان النّاس ويتردّد على أفواههم، "تحتوي الحكاية المثليّة على قيمة شعبية سامية ونبيلة لهذا عمدت الفطنة الشعبية على تخليدها والإشادة بها وبالتالي دعوة الناس إلى ممارسة هذا الفعل الحسن والاقتداء بالبطل أو تفادي السلوك السيء الذي رفضه البطل الإيجابي"[2].

إذا فالأمثال الجارية بين النّاس هي عناوين لقصص جرت وقائعها في الزمن الغابر، ثم اشتهرت بين الناس وسارت عنهم سير الأمثال، فإذا ما واجه الإنسان في حياته حكاية مشابهة لواحدة منها اكتفى بإيراد المثل الوارد اعتمادا على القصّة الأولى، وعليه فإنّ القصة والمثل أحدهما كان سببا في وجود الآخر، "نحن لا ننفي تأثر المثل بالقصة والعكس صحيح، ولكنّنا نميل إلى الاعتقاد بأن هذا التأثر لا يعني أبوة القصة أو الحكاية للمثل، ويترتب عن هذا الزعم أن المثل الشعبي قد نشأ متأخرا عن القصة والحكاية"[3]، وهو

[1] عبد الوهاب الرقيق: أدبية الحكاية المثليّة في كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع، دار صاد للنشر والتوزيع، تونس، 2007، ص 97.

[2] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص 64.

[3] التلي بن الشيخ : منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990، ص156.

أمر لا يمكن الجزم به، لكن الأكيد أنّهما كلاهما ثمرة تأمل وتفكير وإبداع المبدع الشعبيّ الأوّل.

ج- **الحكاية اللغزيّة:** هي شكل من أشكال السرد الشفويّ الشعبي يعتمد على طرح الألغاز والأحاجي كجزء أساسي من الحبكة، يتم استخدام هذه الألغاز لاختبار ذكاء الشخصيات، أو لحلّ النزاعات، أو للكشف عن حقائق مخفيّة، إذن "فالحكاية اللغزية يقوم نصها على لغز وبين طرح اللغز وجوابه يقع كل نص الحكاية بأبعاده ودلالاته المختلفة"[1].

إن هذا الطرح التساؤلي يعتبر اللبنة الأساسية التي تقوم عليها الحكاية ونقطة خلق العالم الحكائيّ بأحداثه وشخصياته وبيئته المكانيّة والزمانيّة.

د - **الحكاية النّكتة:** و"هي حكاية أو أحدوثة قصيرة أو طويلة تحكي نادرة أو مجموعة من النوادر المسلية والمنسجمة وتؤدي إلى موقف فكاهيّ مرح، فهي تستقي مادتها الخام من الواقع الملموس وموضوعها غالبا ما ينحصر في تصوير نشاط الناس اليومي"[2].

وهذا النوع يتضمن مواضيع اجتماعيّة أو سياسيّة بطريقة مسليّة وفكاهيّة وبطريقة ممتعة، وما يميّز هذا النوع من الحكايات أنها أقصر الأنواع من الحكايات كذلك تمتاز بطابعها الهزليّ.

[1] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق، ص64 .

[2] المرجع نفسه، ص 65.

يكثر استخدام هذا النوع من الحكايات في جلسات السمر وتجمعات النساء والفتيات عند الجدات، حيث يتجمع حولهن الصبيان ليلا، "وشخصيات هذه الحكاية غالبا ما تتصف بالخداع والكذب والحيلة والمجون والحماقة والغباء، وهذه الصفات تكسب الحكاية طابعا فكاهيا بحيث يصل المغزى والهدف الاجتماعي والنفسي بطريقة حيوية مرحة"[1].

هـ – الحكاية الشعريّة: يعتمد هذا النّوع من الحكايات على الشعر قد يكون نصها كلّه أبياتا شعريّة وقد يتخلله بعض الأبيات، والهدف من ذلك هو سهولة نقلها وحفظها وإلقائها بطريقة حماسيّة مثل الملاحم والسّير، فالشعر يتميز بطابع الإيقاعي الخفيف، ويكثر استخدام هذا النوع من الحكايات في المضامين التي تحتاج إلى حفظ كالأحداث الدينيّة كالسّير والغزوات ويكثر أيضا في مواضيع الغزل ووصف الحبوب، حيث يلجأ إلى الشعر للحفاظ عليها من النسيان وكذا جذب السامع والتأثير فيه، وهذا النوع من الحكايات يتميز راويها بالمعرفة والثقافة فهو يجمع بين النثر والشعر وهما شكلان مختلفان يحتاج المزج بينهما إلى قدر من المعرفة والإبداع.

ويمكن القول أن للثقافة الشعبية خصائص مكنتها من الاستمرار وأنها تتجلى عبر عناصر مختلفة مادية ولامادية، وأن الحكاية الشعبية تعتمد على السرد وتنتقل شفاهيا، لها خصائص وأنواع وبذلك فهي تتسع للعديد من القيم خاصة القيم الاجتماعية، وتحفظ الذاكرة الشعبية.

[1] آسيا محمد محمد المجربي: الحكاية الشعبية في مديرية العرش، ص 974 .

الفصل الثاني

الفصل الثّاني:

تجليّات الثّقافة الشّعبية في كتاب "حكايات شعبيّة" لأحمد زياد محبّك

أوّلا – الثقافة الشّعبيّة الماديّة

1 – العمارة والمباني

2 – اللباس

3– الطعام والولائم

4 – الأدوات

ثانيا : الثّقافة الشّعبيّة اللاماديّة

1 – الأدب الشّعبيّ

2 – العادات والتّقاليد

3– المهن والحرف اليدوية

يعد كتاب "حكايات شّعبيّة" لأحمد زياد محبك ثروة أدبيّة حقيقية في مجال الحكاية الشّعبية العربية حيث استطاع صاحبه، أن يجمع بين دفتيه 153 حكاية من بينها 69 حكاية شعبيّة طويلة، و84 حكاية قصيرة، وأغلب هذه الحكايات جمعت من مدينة حلب وريفها بسوريا، من عجائز متقدمين في السّن من بينهنّ جدّته المتوفاة سنة 1970، وكان لها من العمر خمسة وثمانون عاما كما ورد في مقدّمة كتابه.

وقد اختار أحمد زياد محبك اللغة العربيّة الفصيحة في تدوين هذه القصص "لأن اللغة العربيّة هي لغة العرب جميعا، وهم شعب واحد، ومهما تعدّدت لهجاتهم أو اختلفت فهي ترجع في جذورها إلى العربية الفصحى"[1]، وقد بيّن أنّ الغاية من تدوين هذه الحكايات ليس إحيائها وإنّما حفظها وتوثيقها ووضعها مادّة أمام الدارسين والباحثين.

ومن هذا المنطلق تسعى هذه الدراسة إلى تقفي تجليات الثقافة الشّعبيّة بشقيها المادي واللامادي ضمن متون الحكايات الشّعبيّة التي جمعها محبك وقد كشفت قراءة هذه النصوص عن مظاهر غنية تعكس هوية الشّعب الذي أوجدها وتناقلها عبر الأجيال فكانت مرآة عاكسة لتاريخه، وقد أشار محبك نفسه إلى هذا الدّور الذي تلعبه الحكاية حيث يقول: "إنّ التاريخ الحقيقي لحياة الشعوب، في طبيعة تفكيرها ونمط تعبيرها، وأشكال انفعالها وأساليب فعلها، وفي همومها وآمالها، وشقائها وطموحاتها ما يزال تاريخا مكتوبا إلى اليوم"[2].

و من خلال دراستنا للكتاب تبين لنا أن الثقافة الشعبية تجلت من خلال مجموعة من العناصر الثقافية المادية واللامادية:

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبيّة، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، (د، ط)، 1999، ص6.

[2] المصدر نفسه، ص 10.

أولا: الثقافة الشعبية المادية

تجلت الثقافة الشعبية في كتاب "حكايات شعبية" وذلك من خلال عناصر الثقافة المادية، والمتمثلة فيما يلي:

1- العمارة والمباني

يمثّل التراث العمراني أحد الرموز الأساسية الدّالة على تطور الإنسان عبر التاريخ ويعبّر عن قدرات الإنسان في التغلب عن بيئته المحيطة، "فهو يبرز لنا صورة متكاملة عن العمارة التقليديّة بكل ما تحتويه من حلول جيدة عكست ظروف البيئة المحلية وكذلك ما تحتويه من حلول تصميمية منسجمة مع احتياجات الفرد والمجتمع من حيث العادات والتقاليد الضاربة في أعماق هذا الوطن"[1].

ومن خلال دراستنا للحكايات الشعبية وجدنا أن التراث العمراني أخذ حيّزا كبيرا في بناء الحكاية باعتباره الفضاء الذي تعيش فيه شخصيات الحكاية و تتشكّل فيه أحداثها، ومن بين ما تمّ ذكره:

أ- المنازل والقصور:

تشكّل المنازل والقصور الفضاء الحيويّ الذي تعيش فيه شخصيات الحكايات وتتوالى فيها الأحداث، وقد برز وصفها بشكل متكرر في "حكايات شعبية" لأحمد زياد محبك تصوّر الحكايات البيت الدّمشقي التقليديّ على أنّه بناء من الحجر الملوّن مما يعكس الثقافة التراثية للمنازل ويكون مزين بالخشب المزخرف الذي يتقن صناعته أهل الشام مما يعكس ثقافة الحرف.

[1] سلوم درغام سلوم: بيوت الغمس في حماه السورية ولريفها، الثقافة الشعبية، ع 32، 2016، ص 75 .

وقد ورد وصف باحة البيت الدّمشقي في الحكايات عديد المرّات من بينها في حكاية عمود الذّهب: "ودهشت الزّوجة لما رأت بل ذهلت دار كالقصر، بل جنة الفردوس باحتها واسعة، فيها بركة كبيرة، تترقرق فيها المياه، تلعب فيها الأسماك وتحوم على حوافها الطيور، وتظللها شجيرات الورود والياسمين فتنتشر عبقها النّاعم وحول الباحة الواسعة تمتد الغرف وهي كثيرة بشرفاتها ونوافذها وقد بدت من وراء النوافذ الستائر الرقيقة الهفهافة تداعبها النّسمات فتميس وفي صدر الدار إيوان تظلله واقية من خشب الساج، حفرت فيه أحلى النقوش وطعمت بالعاج وقد مدت في صدر الإيوان أريكة وبسطت في أرضه سجادة على حين ترك بابا الغرفتين المطلتين على الإيوان"[1].

وللنافورة بعدا تراثيا فهي تحمل القيم الثقافية للمجتمعات العربية، كما يمثل الإيوان "الليوان" تراثا يتعلق بالمباني، وهو يوجد بالبيت الدّمشقي كما ويوجد مثيل له في بيوت العرب، يحمل طابعا جمالياً، كونه ينفتح على السّاحة البيت.

في هذه الحكاية دهشت الزوجة للجمال الذي يحتويه البيت وما يحمل من أثاث وأفرشة وديباج وسجاد، كما ذُكر في الحكاية أنها لم تكن تعرف شكل هذا البيت وما يحتويه ولم تسمع به طوال حياتها، خاصة أن زوجها كان فقيرا، وحتى الأزهار والطيور ساهمت في رسم مشاهد الجمال الطبيعي. يقول الكاتب: "فتسلت عنه وأولادها بالقعود في الإيوان، والتفرج على البركة والأشجار والتمتع بالنسمات العليلة، تنفح عبق الأزهار"[2]، وفي هذا إشارة إلى وظيفة الإيوان وهو التّسليّة والتّمتع بالمناظر الطبيعة، والكاتب من خلال ذلك ينقل لنا ثقافة تراثية مهمة.

ويدلّ الوصف الدّقيق للمنازل والإطناب فيه ضمن الحكايات التي تضمّنها الكتاب إنّما على اهتمام العرب بالمسكن، خاصة وأنّ نساءهم لا يخرجن من المنازل إلا

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبيّة، ص 87 .

[2] المصدر نفسه، ص 89.

للضرورة القصوى فوفروا لهنّ كلّ سبل الراحة والاستجمام داخل البيت وهذا ما يعكسه توفير الباحة والخضرة والمياه وذلك لتعويضهنّ عن الحياة خارج أسوار المنزل، فالمرأة في الحكاية هي التي اهتمت بجمال البيت وتمتعت به، والبيت له دلالات مختلفة فهو يعكس المكانة الاجتماعية لصاحبه، فالقصور والعمارات الفخمة توحي بالثراء والسلطة أمّا البيوت الصغيرة والأكواخ فلها رمزيتها في الوعي الجمعيّ والتي توحي بالفقر والعوز، لما تتساوى البيوت تعبر عن انعدام الطبقية، كما أنها تمثل ذاكرة خاصة بيت الطفول يمثل ذاكرة مفعمة بالعلاقات الاجتماعية التي تبدأ من الأسرة.

ب – الحمّام : يمثل وجود الحمام جانبا مهما من احتياجات الإنسان، خاصة ما تعلق بالحمامات المعدنية التي تعد مياهها دواء لبعض الأمراض، وشكْلُ الحمامات اختلف مع تطور العصور، ولكن يبقى وجود الحمام في الحكاية الشعبية جزء من الثقافة التراثية. وتعدّ الحمّامات أحد أبرز المعالم الأثريّة.

وفي الحكايات الواردة في الكتاب لا تصنّف الحمامات، كأمكنة للاستحمام وحسب، ولكن كنشاط اقتصادي واجتماعي أصبح بمرور الوقت جزءا من هوية المدينة وثقافة سكانها، يقول "أحمد زياد محبّك" في حكاية: "أرزة وقنبر": وفي بلدة نائية افتتح قنبر حماما وقد جعل أجرة الاستحمام فيه حكاية لعله يتسلّى ولعل خبراً يأتيه من أرزة"[1]، وفي الحكاية إشارة واضحة أنّ الحمّام كان يعتبر مكوّنا أساسيا في الحياة الاجتماعيّة آنذاك، مما يعكس قيمة الثقافة الشعبية لدى المجتمعات العربية.

وتشير المراجع التاريخية إلى أن الحمّام يعود وجوده إلى العصر الأمويّ، وكانت زيارة "حمام السوق" طقسا رئيسا من طقوس المناسبات الاجتماعية العائلية للدمشقيين، كالزواج واستقبال المواليد الجدد وإقامة الحفلات العائلية، وذلك ما سجّلته حكاية "بنت الشّحّاذ" حيث جاء فيها "وخرجت فطوم بنت الشحاذين من الحمام أميرة تعلوها ثياب

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية ، ص783.

الحرير، وما إن رآها الملك حتى فتن بجمالها"[1]، كما ورد ذكر الحمّام في حكايات أخرى كحكاية " الفأرة والذهب" فجاء فيها: "ومضت الأخوات إلى الحمام فأمضين فيه وقتاً ثم ادّعت إحدى الأختين أنها نسيت في البيت شيئاً، وأن عليها أن تذهب لإحضاره، فخرجت من الحمام، وأسرعت إلى القصر، ثم عمدت إلى الفأرة، فخنقتها، ثم رجعت إلى الحمام."[2] وفي هذا إشارة إلى أنّ النّساء كذلك يقصدن الحمّام، وقد كانت الحمّامات تخصّص أياما للرجال وأخرى للنّساء.

ج – **القمين:** كان الناس قديما يعتمدون على القمين وهو من التراث الثقافي، يبنى من الحجارة لتوقد فيه النّار التي يحتاجها الإنسان لتجفيف الطّين أو تسخين الماء، وقد ارتبط وجود القمين بالحمّامات، وكان القائم عليه يسمّى بـ " الوقّاد " لأنّه كان مكلّفا بإيقاد النّار وتسخين المياه. وقد تمّت الإشارة إلى هذا الموروث في حكاية "بنت الملك "كان لأحد الملوك ثلاث بنات ، يحبهن حباً كبيرا، إلا الصغرى منهن، فقد كن كلما جلب لهن شيئاً، شكرنه وحمدنه، وقلن له: "أدامك الله يا أبي" إلا الصغرى، فكانت لا تقول شيئاً من ذلك، وإذا ما عاتبها والدها قالت له: "هو من عند الله". وكان يغضب منها ويحاول أن يثنيها عما هي فيه فلا تستجيب له، فيتهددها ويتوعدها فلا تخشى، وتظل على قولها. وذات يوم غضب منها غضبا شديدا ، فقرّر تزويجها لوقاد في الحمام"[3]. ولقد كان القمين هو مسكن بنت الملك مع زوجها الوقاد يقول الكاتب: "ولقد كان مسكنها مع زوجها الوقاد في القمين

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص345.

[2] المصدر نفسه، ص105.

[3] المصدر نفسه، ص18.

تشارك زوجها فراشه الخشن قريبة من أكوام الأقذار قانعة بما هو دون القليل، صابرة على حظها، جاهدة على إسعاد زوجها ما استطاعت، من غير ضيق ولا تذمر ولا ألم"[1].

وكما قلنا سابقا أنّ المنازل تعبّر عن المكانة الاجتماعيّة لأصحابها، فمثلما هناك من يسكنون القصور هناك من يسكن أماكن وضيعة كالقمين وفي هذا دلالة للفروقات الاجتماعيّة وانعكاساتها على حياة الفرد، كما عكست هذه الحكاية، التحلي بالصبر ومواجهة مصاعب الحياة، والمبادرة بطاعة الزوج من طرف البنت، التي كانت في بيت أبيها ينعدم الحب بينها وبينه، فالقمين كثقافة شعبية ورد في الحكاية الشعبية عاكسا للقيم الثقافية والأخلاقية.

د- الخان: هو مكوّن أساسيّ في النّسيج العمرانيّ والاجتماعيّ، ويعود تاريخه إلى العصر الأمويّ، وكان يستخدم للمبيت وتخزين البضائع وإيواء المسافرين، وللخان دلالات اجتماعيّة واقتصاديّة وثقافية عميقة، فهو نقطة التقاء المسافرين من كل ربوع العالم، وفي كتاب "حكايات شعبيّة" لا يظهر الخان كمجرد بناء جامد بل ككيان يسهم في دفع السّرد وتعميق دلالته، ورغم أنّ ذكره قد جاء موجزا في حكاية "قلعة من رؤوس" "نزل في خان وأخذ يطوف بالطرقات"[2]، إلا أنّ هذا الإيجاز يخفي وراءه توظيفا رمزيا غنيا يندمج مع جوهر الموروث الشعبي.

2 – اللّباس:

تعدّ الأزياء التراثية تعبيرا حيويا عن جانب مهم من جوانب الثقافة العربية، فاللباس يعبّر عن مختلف الثقافات وهو يختلف من بلد إلى آخر ومن منطقة إلى أخرى، كما أنه يرتبط بالمناسبات، في كتاب "حكايات شعبيّة" يتجلّى حضور الزي التقليديّ

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص180.

[2] المصدر نفسه، ص 172.

كعنصر دال على الهويّة الاجتماعيّة والاقتصادية للشخصيات، حاملا معه ثقافة شعبية، تصف الحكايات ملابس الرجال كالقمباز والطربوش، وغيرهما والتي تدل على أصول الرجل ومكانته، أمّا ملابس النّساء فتشمل العباءات الملونة والمزخرفة مع المجوهرات الذهبية داخل المنزل، ما يشير إلى حياة البذخ والترف والمكانة المرموقة، في حين ترتدي المرأة العباءة السوداء والنقاب الذي يغطي وجهها عند الخروج، هذه الاختلافات تعطينا ملمحا عن العادات والتقاليد السائدة في المجتمع العربي المحافظ، وقد ورد في الحكايات العديد من الأزياء التقليديّة نذكر منها:

أ . القبقاب: كان القبقاب رمزا للمكانة الرّفيعة وهو من الألبسة التقليدية ومازلن نساء العرب ترتدينه إلى يومنا هذا، وقد جاء ذكر القبقاب في قصّة "الأخوات الثلاث" كعنصر رئيس في تحريك الأحداث "فضحكت الأخت الصغرى وقالت باعتداد: أنا والله لا أتزوج إلّا الملك الشاب، أضربه على خده فيدير لقدمي القبقاب"[1]، فهذه العبارة لا تشير فقط إلى رغبة الأخت في الزواج من ملك بل تحمل إشارة قوية أن القبقاب كان جزءا من لباس الأميرات والطبقة الحاكمة، وجاء تأكيد ذلك في موضع آخر من الحكاية، "وبينما كانا يهبطان عليه معا، افتعلت زلة قدم، من غير أن تشعره بذلك فسقط قبقابها من قدمها ووقع أسفل الدرج، فأسرع الملك إليه فالتقطه ثم صعد إليها وانحنى ووضعه أمام قدمها الصغيرة"[2]. وهنا كذلك تأكيد وترسيخ لصورة القبقاب كونه رمز للأنوثة والدلال والمكانة الاجتماعيّة، ومازالت دلاته إلى عصرنا هذا.

ب . الأساور والخلاخيل: لطالما كانت الجواهر جزء لا يتجزأ من لباس المرأة العربيّة خاصّة الحليّ الذّهبيّة منها، وقد تضمنت أغلب القصص وجودا للحليّ خاصة الأساور، وتعدّ من أشهر أنواع الحليّ التي تزيّن معصم المرأة، وتكون غالبا مصنوعة من الذّهب،

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 95.

[2] المصدر نفسه، ص99.

في كتاب "حكايات شعبيّة" "جاء في قصة عمود الذهب: "ذات يوم دخل دكان الصائغ خادم الملك وطلب صوغ سوار خاص بابنة الملك"[1].

وجاء في حكاية " أرزة وقنبر": "وبينما هي في بعض الطريق ذكرت سوارها، فطلبت من الجواري أن ينتظرنها ريثما ترجع لتحضره"[2]، وفي هذا إشارة إلى كون السوار قطعة هامّة تلازم المرأة ولا يمكن الاستغناء عنه تحت أي ظرف فهي دليل أنوثتها ودلالها. كما جاء ذكر الخلخال "وهو حلقة متينة غليظة من الذهب أو الفضة ينتهي طرفاها بثوميتين كبيرتين وتلبسه المرأة أسفل ساقيها"[3]، ويدلّ الخلخال على المكانة الاجتماعية المرموقة للمرأة وعلى ثرائها فهي لم تكتف بالزينة على عنقها وأذنيها ويديها بل حتى قدميها زينتهما بالذهب وقد جاء ذكر الخلخال في قصة "عمود من ذهب" "تحلم بالأساور والخلاخيل والعقود"[4]

فالخلخال ثقافة شعبية للمرأة في المجتمعات العربية بصفة عامة.

3 – الطعام واللائم: يرتبط الطّعام عادة بالمكان باعتبار أنّ مصادره مرتبطة بالأرض والزّراعة ولمّا كانت الدول العربية تنتج القمح وتتغدى عليه، فهي تتمتع بطابع فلاحي وزراعي لذلك فالقمح، والسّمن والعسل من أهم العناصر الغذائية التي تتوفر وتكون عادة من إنتاج فردي، وفي الحكايات الشعبية بصفة عامة نجد هذه الأنواع من الأطعمة والتي توظف برؤية تعالج قضايا اجتماعية مختلفة، بكثرة وفي كتاب "حكايات شّعبيّة" تردد ذكر هذه الأطعمة عديد المرّات.

---

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 763.

[2] المصدر نفسه، ص 782.

[3] صلاح عبد الستار محمد الشهاوي: "الحلي والزينة في الثقافة العربية والشعبية"، مجلة الثقافة الشعبية، البحرين ،ع9، 2014، ص 168 .

[4] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص86.

تجلى العسل والسمن من خلال العنوان في حكاية "ساقية من عسل وساقية من سمن"، مما يعكس الثقافة السورية من جهة والعربية من جهة أخرى، خاصة أن الكاتب لم يركز على سوريا وإنما وضح رؤيته أن الحكايات هدفها عربي كونها تتشابه مع الحكايات الشعبية في الدول العربية. كما تتشابه بعض الثقافات، فالثقافة هي مثل البذرة التي يمكن أن تزرع في بيئة غير التي أوجدتها إلّا انّها تنمو وتترعرع وتتخذ أشكالا جديدة وفي هذا الطرح يقول إدوارد سعيد: "جميع الثقافات متداخلة في بعضها البعض، الثقافة فريدة ونقية، الكل هجين متغاير الخواص، متباين على نحو استثنائي ولا يمثل بنية متجانسة أحادية التكوين"[1].

وفي الحكاية نجد أنسنة الساقية أي أنها في صورة إنسان حيث جرت ساقيتان إحداهما من عسل وأخرى من سمن من باب الملك فرحا بشفائه من مرض عضال، وأنهما امتدتا في شوارع المدينة وأخذ الناس السمن والعسل لمنازلهم، إلا عجوزا لم تعلم بالحادثة وجاءت متأخرة ملأت جرة بصعوبة بعد أن توقف الساقيتان غير أن ابن الملك رماها بحجر فكسر جرتها عمدا ضنا منه أنها أخذت الكثير ولم تقنع، وفي الحكاية يرمز العسل والسمن إلى الخير، وفي نفس الوقت كان حرمان العجوز منها يدل على الضن بالسوء والظلم.

ولأهل سوريا وحلب خاصّة موروث عريق يتعلق بأطباق الأكل، ومنه ما تردّد في الحكايات المدروسة كبعض الأنواع من الطّعام وكان في مقدّمها الخبز (الرّغيف) فجاء تناوله مع البصل تارة ومع السمن والعسل تارة أخرى، وحافا في أحيان أخرى.

أ . خبز التنّور: من المأكولات التراثية ويعدّ أشهر أنواع الطّعام في منطقة الحجاز وهو عبارة عن خبز يعجن ويلصق في فرن التنّور المصنوع من الطّين حتى ينضج، ولخبز التّنور أنواع حسب الإضافات التي تضاف إليه ويحضّر في رمضان، ويتداول اسم

[1] إدوارد: الثقافة والانبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، (د، ط) ، 1997، ص 308 .

الرّغيف للدّلالة على الخبز وقد وظّف أحمد زياك محبك هذا الموروث في عدّة حكايات من بينها حكاية ابن الملك يقول فيها: "قدمت لعلاء رغيف القمح وفيه السم وقدمت لولدها رغيف الشعير وفيه العسل"[1]

كما جاء في حكاية "أبو عيشة " حيث جاء فيها: " فأجابته: لا تهتم، فقد هيأت كل شيء، عندي قطعة قماش سآخذها لها، كما سنأخذ لها ظرف زيت، وقد عجنت الدقيق، لنصنع لها بعض الكعك، فهيا قم وأوقد النّار في التّنور، وانطلق أبوعيشة إلى التنور، فوجد أشعة الشمس منعكسة فيه وهي في أول إشراقها فظنّ النّار مشتعلة، فأسرع إلى زوجته يخبرها بأن النار في التنور موقدة، وكانت قد أعدت أقراص الكعك فتناولها وأخذ يلصقها بالتنور ووقف ينتظر نضجها[2]

ويعتبر خبز التنور من الأكلات الشعبية الأشهر في سوريا وهو وجبة أساسية لا يخلو منه أي بيت.

ب- المخلوطة: أكلة شعبيّة تراثيّة معروفة في سوريا وهي مرق مكوّن من الأرز والعدس واللحم وهو طعام العامّة غير مكلّف ويطبخ في الأيّام العاديّة وقد وظّف في حكاية "فطوم بنت الشّحاذين" التي ورد فيها: "ذات يوم أحضرت لها أمها قليلا من الأرز والعدس وبعض اللحم وطلبت منها أن تطبخ مخلوطة ريثما تطوف في الأسواق لعلها تحصل على رزق."[3] ويأتي هذا التوظيف كنوع من أواع التوثيق للأكلات التقليدية ولبرز كذلك أنّ أنواع الطعام تختلف حسب الطبقة الاجتماعيّة للإنسان، وهو ذال على الثقافة الشعبية، وإنما كان الغرض من اختيار هذه الحكاية رصد مختلف الثقافات المتعلقة بالأكل.

---

[1] أحمد زياد محبّك: حكايات شعبية ، ص812.

[2] المصدر نفسه،، ص296، 297.

[3] المصدر نفسه، ص34.

ج – المامونيّة : وهي نوع من الطّعام الذي يمكن اعتباره من الثقافة الشعبية العربية، وهو طعام يصلح للفطور معروف في كل الدول العربيّة، لكن اسمه يختلف من بلد إلى آخر والمامونيّة هو اسم الطبق في حلب يصنع من السّمن والسّكر والسّميد الخشن كما عرّفه الكاتب، في حكاية "ذكاء الزّوجات". مما ورد في هذه الحكاية ما يلي: "وكان زوج الأولى يحب المامونية، ويطلب منها أن تعدّ له كل صباح صحن مامونية حتى أنها ملت وضجرت من تكرار الطبخ كل يوم، ثم اهتدت إلى حل وكان زوجها قد اختزن في الدار أكياساً من الدقيق والسكر وصفائح السمن مما يبيعه في دكانه، فعمدت إلى ما كان اختزنه فأفرغت أكياس الدقيق في البئر التي في الدار ثم أفرغت بعدها أكياس السكر ثم صبت صفائح السمن جميعا ثم أخذت تخبط الدلو في البئر خبطا"[1] فهي كانت قد طبخت المامونية دفعة واحدة في البئر لتقدم لزوجها فطوره منها، وفي الحكاية توثيق لمكونات المامونية وطريقة صنعها ووقت تناولها.

أي أن الثقافة هنا لا تعتمد على نوع الأكل فقط وإنما على مكوناته ووقت تناوله، وفي هذه الجزئيات تختلف أحيانا الثقافات حيت نجد بعض المأكولات تقدم لوجبة الفطور في بلد وفي بلد آخر تقدم لوجبة الغداء.

4 – الأدوات:

الأدوات التراثية هي كل الأدوات والمعدات المستعملة في العمل أو للتخزين وغيرها من الوظائف، وذلك قبل انتشار الآلات المتطورة وقبل استخدام الكهرباء، فهي أدوات بدائيّة كان يستخدمها الأجداد، وأصبحت تراثية قديمة احتلت مكانا في المتاحف التراثية الشعبية، وهي تذكرنا بمرحلة لها جذورها الممتدة في التاريخ.

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص131، ص132.

تشمل الأدوات والوسائل التراثية، في كل مجالات الحياة الاجتماعية السابقة في الريف والمدينة والبادية، التي كانت تستعمل في الفلاحة، والزراعة، والسقي، والنقل، وجني المحاصيل وتخزينها، كما تشمل الأدوات المنزلية والأثاث، والفرش، والثياب، والطهي، والطعام، والشراب، والإنارة، والوزن، والكيل، والقياس، والصيد.. إلخ.

وقد ورد ذكر الكثير من الأدوات في الحكايات الشّعبيّة نذكر منها:

أ- **السيف** : وهو أداة تراثية لها رمزية تاريخية لارتباطها بالحرب والبطولات "ويرتبط اسم دمشق بصناعة معدنية متميزة في صناعة السيوف حتى أطلقت تسمية الدمشقة على طريقة صنع هذه السيوف وبخاصة نصل السيف الذي يصنع من الفولاذ" الجوهر" كما يقال وتعني هذه الصفة ما يحتويه فولاذ نصل السيف من رسوم شفافة متموجة قزحية الألوان"[1].

وجاء ذكر السّيف في عديد الحكايات من بينها حكاية "ساقية من عسل وساقية من سمن التي جاء فيها: "ثمّ عمدت إلى سيف زوجها، وكان قد صاغ قبضته بنفسه ورصعها بأغلى الجواهر فقدمته إلى عشيقها"[2] ويظهر من خلال هذا التّوظيف للسّيف كميّة الاهتمام بإتقان صناعته والاهتمام بالتّفاصيل الدّقيقة له.

كما تمّ ذكره في حكاية أرزة وقنبر: "..فناما معا في سرير واحد وقد وضعا السيف والمصحف بينهما"[3]، وفي هذا إشارة لوظيفة السّيف الذي يرمز للشّرف والذّود عنه، فالسيف على مر العصور رمز المقاومة والبطولة والحماية.

[1] عفيف بهنسي: التراث الأثري السّوري، مطابع الهيئة السورية للكتاب، (د، ط)، 2014، ص 88.
[2] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 56.
[3] المصدر نفسه، ص 784.

ب – الأواني الزجاجيّة: في الوقت الذي كان النّاس يستعملون الأواني الفخارية والمعدنية في مطبخهم، كان السوريون يستخدمون إلى جانب ذلك الأواني الزّجاجيّة هذه الصناعة التي "ابتدأ ظهورها منذ الألف الأول قبل الميلاد حيث كانت المراكز الفينيقية الممتدة من السواحل السورية شرقا وحتى السواحل الاسبانية غربا وبخاصة في قرطاجنة تصدر روائع الأواني الزجاجية المسماة "الألف زهرة" وهي على شكل قوارير وأوان مؤلفة من طبقات متموجة ملونة من الزجاج"[1].

وقد أشير إلى التفنّن في هذه الصّناعة وإجادتهم في حكاية "الكأس والمنديل" الذي جاء فيها "ثم طلب منها أن تحضر له كأس شراب مشعشع بالثلج، فأحضرت له كأس من زجاج فخم رقيق شفاف فأبدى إعجابا شديدا بالكأس"[2].

ج – المنخل: يعدّ منخل الخشب من الأدوات التراثيّة التي تستخدم في المطبخ، دائري الشكل تتوسطه شبكة رقيقة بثقوب ضيقة، وظيفته تصفية الطحين من الشّوائب، يختلف اسمه في الثقافة العربية وهو ما يسمى في ثقافتنا بالغربال، ووظّف في الحكايات الشعبية الجزائرية أيضا، ولا يزال المنخل يستخدم لليوم بأشكال عصرية، وقد ورد ذكره في حكاية "الفقير والبئر": "وقال لها ردي لي ليرتي ثم سحب الدلو وإذا فيها منخل فسأل البئر وماذا سأصنع بالمنخل فأجابته البئر، كلما هززته سقط منه الدقيق"[3]

ولا يكاد يخلو أيّ منزل عربيّ سواء قديما أو حديثا من المنخل فهو إلى جانب وظيفته الأساسيّة في تصفيّة الطّحين فهو يستخدم كذلك في صنع بعض الأطعمة التقليديّة مثل الكسكسي في منطقة شمال إفريقيا، فوجوده ضارب في عمق التّاريخ وهو

[1] عفيف بهنسي: التراث الأثري السوري، ص 87.
[2] أحمد زياد محبك، ص 142.
[3] المصدر نفسه، ص 807.

أداة جدّ مهمّة استطاع الأحفاد حفظها من أسلافهم عن طريق مواصلة استخدامه بالطريقة نفسها التي استخدمتها الجدّات.

د- التنور: هو فرن تقليديّ مصنوع من الطين المشوي المعجون بالقنّب والتراب الناري، لصنع الخبز التنوري المشهور في الريف "يقال الكلمة عربية الأصل مؤلفة من (تن): الدخان (ونر) النار ومنها اسم التنين وقيل فارسية أو سريانية أو عبرانية وتعني بيت النار"[1]، وقد وظّف في كتاب حكايات شعبية: "فهيا قم وأوقد النار في التنور، وانطلق أبوعيشة إلى التنور، فوجد أشعة الشمس منعكسة فيه وهي في أول إشراقها فظن النار مشتعلة."[2] ولايزال هذا الفرن يستخدم لليوم في المناطق الرّيفيّة، فخبز التّنور يعتبر الوجبة الأساسية لعدّة شعوب عربية كسوريا ولبنان وفلسطين وتونس.

هـ- الجرّة: وهي آنية من الفخّار استخدمت قديما لعدم توفر الأواني الحديثة، وتستخدم لجلب الماء من المنابع البعيدة عن القرى، كما يوضع فيها ماء الشرب في البيوت، وتستعمل لتخزين المأكولات المصبّرة بالملح، وتخزين السمن والعسل، وتستعمل أيضا في وضع الكنوز تحت الأرض، لأنها مقاومة خاصة في زمن الحروب.

وقد ورد ذكر هذه الآنية في العديد من الحكايات كحكاية ساقية من عسل وساقية من السّمن "فحملت العجوز جرة من العسل وجرة من السمن" [3]. كما ورد ذكرها في حكاية "أرزة وقنبر" يقول الكاتب: "يا عمّي أنت عندك جرة سمن وأنا عندي جرة عسل"[4].

ومن خلال هذين الموضعين يتبيّن أنّ الجرّة تستخدم بكثرة لحفظ العسل والسّمن وهما من المواد الغذائيّة الأساسيّة ويتمّ حفظها على مدار السّنّة ويعتبر الفخّار أفضل

---

[1] بشرى منصور: الأدوات التراثية والمأكولات الشعبية في كتاب «التراث الشعبي الحمصي» لـ مصطفى الصوفي مجلة الثقافة الشعبية، ع32، ص 175 .

[2] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 297.

[3] المصدر نفسه، ص 49.

[4] المصدر نفسه، ص 786.

مادّة حافظة لذلك اعتمد النّاس عليها في حفظ طعامهم، والجرّة مرتبطة بصناعة الفخّار ذلك الموروث الذي يأبى الاندثار ولايزال محافظا على وجوده بفضل محافظة العامّة الحرفيين عليه ونقله لأبنائهم، وقد تلقت مادة الفخار إقبالا كبيرا على الاستعمال في السنوات الأخيرة للوقاية من الأمراض خاصة في الطهي، بعد أن انتشرت الأمراض بسبب استعمال المواد المصنوعة من بلاستيك، فاصبح استرجاع التراث والتعريف به مرتبطا بالتنمية السياحية ولاقتصادية.

ثانيا – الثقافة الشعبية اللامادية:

تنوعت تجليات الثقافة الشعبية اللامادية في كتاب "حكايات شعبية" ومنها نجد:

– الأدب الشّعبيّ:

أ– **الحكاية:** وهي شكل من أشكال التّعبير الشّعبيّ الشفهيّ الذي يتداوله الشّعب بلغته العاميّة جيلا بعد جيل، وتمثّل الحكاية أداة من أدوات التّسليّة والتّعليم والتّثقيف في مجتمعنا العربيّ، حيث شكّلت الحكاية منذ القديم حلقة تواصل بين الأجيال، ولا نبالغ إن قلنا أنّ الحكاية تعتبر أكثر الفنون الشّعبيّة الشفاهيّة تناقلا وانتشارا بين فئات المجتمع، ومن خلال دراستنا للحكايات الشّعبيّة اكتشفنا استعمال الحكاية الشعبيّة داخل الحكايات المدروسة وكان الهدف منها تلقين العبر وكشف الحقائق كما هو الشّأن في حكاية "حكاية صديق" حيث أراد الزوج أن يلقن زوجته درسا ويكشف سلوكاتها لأهلها فقص عليهم حكايته معها ونسبها إلى صديق من أصدقائه حيث قال: " كنت اليوم مع أحد أصحابي وقد حكى لي ما جرى مع أمه وزوجته، ثمّ سرد الصهر القصة من أولها إلى آخرها"[1].

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص117.

وقد وردت داخل الحكاية الأصلية حكاية أخرى، استغرقت تقريبا كل الزمن الحكائي، والهدف منها يرتبط بمضمون الحكاية التي أشار الكاتب في تعليقه عنها، أنه يختص بعلاقة الزوجة بحماتها، وهنا نرى أنّ الكذب أحيانا هو الوسيلة إلى بلوغ الحقيقة وهذا ليس تمجيدا للكذب بقدر ما هو اجتنابا للتحلي بالذاتية والابتعاد عنها في إصدار الأحكام، وفيه حث على العدل أثناء إيراد الحكم. فلو علم الشخص الذي وُجهت له الحكاية أن المرأة المقصودة هي ابنته لكان ليينا في إبداء رأييه بدافع عاطفة الأبوة.

كما أورد الكاتب الحكاية الشعبية ضمن الحكاية الشعبية مرة أخرى، وهي حكاية يمكن القول أنها متشعبة تحتوي حكايات جزئية امتازت بالابتعاد عن الواقعية، ونجد ذلك في حكاية "حكاية الكذب"، ومنها قول الكاتب: "وكان للولد ما أراد، فأخذ يحكي للملك حكاية الكذب وهو يقول: كنا في البيت ستة، ضربنا الهواء فصرنا ثلاثة، أطرش وأعمى وأعرج، قال الأطرش: أسمع صوة بقة في سمائها، فقال الأعمى: وأنا بعيني أراها، فقال الأعرج: هيا، فلنركض وراءها. فصرنا نركض ونركض خمس سنين وخمسة شهور وخمسة أيام، نركض ونركض وما خرجنا من البيت"[1].

كما أن طبيعة الحكاية الواردة ضمن "حكاية الكذب" تحمل الكثير من خصائص الحكاية الشعبية المفعمة بالغرائب والعجائب كون أحداثها تنفلت من الحدث الواقعي، ولقد رأى أحمد زياك محبك أنها "حكاية طريفة تنتمي إلى أدب اللامعقول، وهي تدل بشكل لا واع على نقمة خافية في الأعماق على الحاكم المستبد، وتشير من طرف خفي إلى عدم جدارته(...) ولعلها تدل على حلم الشعب في أن يصل إلى الحكم واحد من الشعب نفسه، بذكائه وحسن تدبيره.

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 773.

والحكاية تتضمن في داخلها حكايات كثيرة تبدو لا نهائية لها ولعل أجملها حكاية إلقاء القاضي الرأس من المئذنة ونزوله على صاحبه تماماً، وهي تؤكد أنه في النهاية لا يصح إلا الصحيح."[1]

استعان الكاتب بأسلوب الحكاية الشعبية لتكون أكثر جاذبية فالمتلقي يتشوق لمضمونها ونهايتها، وهذا يعكس أهمية الحكاية الشعبية التي لعبت دورا هاما في المجتمع من خلال إرساء القيم الأخلاقية ونقل الدروس الحياتية والعبر بأسلوب ممتع فكانت وسيلة من وسائل التّعليم إلى جانب كونها مادة للمتعة والتسلية.

ب- الخرافة : الخرافة سرد خيالي شعبي يتضمّن حكاية عن شخصيات خياليّة، تتميّز "بطغيان الطابع السحري العجيب على الحوادث الجزئية فيها لأنها تعرف الجن والغيلان والنساء الساحرات والمردة"[2].

وقد استعملت الخرافة في الحكايات الشعبية بشكل مبالغ فيه حيث لا تكاد تخلو حكاية من العفاريت والجان والمردة، ومن ذلك ما جاء في حكاية القلعة: "وعندئذ نهض من وراء السرير عفريت هائل انتضى حساما مصلتا ورفعه إلى فوق ليهوى به على رأس الشاب ولكنه انشطر فجأة إلى نصفين (...) ولما وقع العفريت على الأرض تآكل وذاب"[3]. وهذا مما لا يصدقه العقل.

كما تمّ ذكر العفاريت في حكاية عمود الذّهب ومنه: "وعندئذ ادركت سر الدار، فهي مسكونة بالعفاريت، عافها أهلها (...) وما العفاريت في الحقيقة إلا كنز مرصود لصاحبه"[4].

---

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص775.

[2] رابح العوبي: أنواع النّثر الشعبي، ص27.

[3] أحمد زياد محبك : حكايات شعبية، ص175.

[4] المصدر نفسه، ص 91.

أمّ في حكاية بنت الملك تمّ استحضار ذكر الجن والعفريت معا، "ولكن قبل أن تخرج النّسوة اللواتي ساعدنها في المخاض، أخبرنها أنهن في الحقيقة لسن إلا ملكات بنات الجن، وقد أشفقن لحالها (...) وقدمن لها خاتما قلن لها افركيه حين تشائين فيخرج لك عفريتا يحقق كل ما تطلبين"[1].

إلى جانب عديد الحكايات، وكثرة استخدام الخرافة وإيمان الشعب بها ويعود ذلك إلى رغبتهم الملحة في تغيير ظروفهم الاجتماعيّة بطريقة سهلة مريحة فكان الجن والعفريت والمارد هي الطريقة السحرية التي اتخذوها للتعبير عن آمالهم لتحقيق عالم مريح.

ج- اللغز: إنّ اللغز الشّعبي جنس أدبي قائم بذاته له رواج كبير في الأوساط الشّعبيّة، "ويطلق اللغز على الكلام المعمى، يقصد به أمرا من الأمور وهذا من خلال عناصر لها وجه شبه بالمقصود أو بأسرار المعنى المراد الذي أبهمته التعمية في الكلام أو في الأسماء أو الأفعال"[2]، والغاية من اللغز هو اختبار معرفة المسؤول ودرجة ذكائه من خلال التباري الذهني بينه وبين السائل صاحب اللغز، واللغز قديد قدم الإنسان، "نشأ نتيجة التمرينات اليومية الطبيعية التي يمارسها الإنسان البدائي مع ظواهر الطبيعة من جهة وظواهر الحياة من جهة أخرى هذه الظواهر التي أوحت إليه بأسرار بعض الموجودات"[3].

ما جعله يجتهد في صياغة النتائج المحصّل عليها في قوالب أدبيّة لاختبار الغير في اكتشاف هذه الأسرار، "واللغز كجنس أدبيّ له مميزات فنيّة من بينها:

- الجمل القصيرة.

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص182.

[2] رابح العوبي: أنواع النثر الشعبيّ، ص 85.

[3] المرجع نفسه، ص88.

- السّجع.

- الجناس

- الموسيقى والإيقاع الداخلي الخفيف والسريع.

- التلاعب الصّوتي.

قد يكون نص اللغز في قالب شعري كما قد يكون نثرا"[1].

تتضمن الحكايات التي جمعها أحمد زياد محبك اللغز، وقد استعمل في عدّة حكايات وكان له دور كبير في تطور الأحداث كما هو الحال في حكاية "نديم الملك"، أين تمّ استخدام عدة ألغاز كان لها دور محوريّ في الحكاية، كلغز الرمانة وقارورة العطر: "ولما أصبح تحت نافذتها قذفته برمانة أصابته ثم وقعت على الأرض فانكسرت وانفرطت حباتها وتناثرت، فنظر إليها وظل صامتا فلم تلبث أن قذفته بزجاجة عطر فارتطمت بالأرض وتحطمت وانتشر شذاها فنظر إليها ثانية وابتسم وأومأ برأسه"[2]

وقد جاء تفسير هذا اللغز في آخر الحكاية عندما سأل الملك الشّاب عن عدم إفصاحه فأجابه "بأنه لم يفعل ذلك إلا بعد أن قذفته الفتاة بالرمانة فانفرط حبها، وهي تعني أن أفرط في القضية وبعد أن رمته بزجاجة العطر وهي تعني أن أنشر الخبر، فازداد إعجاب الملك بالنّديم"[3].

في هذه الحكاية إشارة إلى أنّ اللغز يحتاج إلى طريفين يتميزان بالحكمة والذكاء وإلا فلن يحلّ، كما هو الحال للألغاز الواردة في حكاية الوصيّة والتي قام بتفسيرها الحكيم: "ثم أخبروا الحكيم بما رأوه في الطريق فأخبرهم أن التمر الكثير، الذي لم يجدوا

[1] محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النّظرية والتطبيق، ص 98.

[2] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 68.

[3] المصدر نفسه، ص 68.

فيه حلوا سوى اثنتين أو ثلاثا فمثله كمثل الأصحاب وهم كثير لكن المخلص فيهم قليل، وأن الماء الرقراق الصافي مالح الطعم فمثله كمثل المرء يعجبك مظهره يخدعك به عن فعاله وخلقه، التي لا توافق مظهره، وأن الحصاة التي تعلو فتشيد قصرا ثم تسقط فتهدمه فمثلها كمثل الكلمة تحلو وترق فتبني بيتا وتغلظ وتقسو فتخرب ما بنت فأعجب الإخوة بتفسيره"[1].

وكباقي الأجناس الأدبية الشعبيّة فإنّ للغز وظيفة ترفيهيّة وأخرى تعليميّة فهو يعلّم الصغار والكبار كيف يربطون بين جوانب المشكلة لاستخلاص الحل المنطقي لها، وكلّ ذلك تمرين للعقل وإعمال له.

د – المثل: هو جنس من الأجناس الأدبيّة النّثريّة المشتركة بين الأدب الرّسميّ والأدب الشّعبيّ ويضرب المثل بغرض المشابهة بين حادثة وقعت في الماضي وأخرى وقعت في الحاضر، من خلال استحضار المتكلم تلك الحالة التي صدر فيها القول، وكان المثل الشعبي من أكثر الفنون النّثرية الشعبيّة استخداما في الحياة اليوميّة خاصة من قبل النّساء، والبيئة العربيّة.

وقد كان المثل قانون الإنسان البدائي، ومازال إلى يومنا أكثر الفنون الشعبية اعتمادا، وقد وردت الأمثال في كتاب "حكايات شعبية" وعلى سبيل المثال في حكاية ورد في حكاية الشّحاذ وبنت الملك المثل القائل: "ساعة السرور لا تفوتها"[2] وفيه إرشاد ونصح لاغتنام لحظات السّعادة لأنّها عابرة. أمّا المثل القائل: "من أمّنك فلا تخنه ولو كنت أكبر خائن"[3] الوارد في الحكاية ذاتها ففيه دعوة صريحة للوفاء ونبذ الخيانة ولو كان المأمّن خائن، وفعلا العرب تنبذ الخداع في حالة الآمان، ومن يفعله هو الجبان.

---

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 152.

[2] المصدر نفسه، ص798.

[3] المصدر نفسه، ص 798.

كما ورد المثل القائل "الفعل يدلّ على الأصل"، ويضرب هذا المثل في الفعل الذي يعكس أصل صاحبه إن كان شريفا أو غير ذلك، وهذه الأمثال تتقارب في صيغتها في البلدان العربية وهنا تبدو ثقافة المثل فهو الموجه للأفعال، كما أن بنيته الفنية تساهم في حفظه وانتقاله وبالتالي توظيفه في الحكايات فهو يمتاز بقصره يحمل أفكارا عميقة يزيد من قيمة الحكاية ولا يأخذ زمنا طويلا من زمنها. ونحن قد تطرقنا إلى أنواع الحكاية في الفصل الأول من بحثنا فكان منها الحكاية المثلية.

والواضح من خلال الأمثال السّابقة أنّها تدعو للتحلي بمكارم الأخلاق والسلوك الحسن، وهي القيم التي يحاول دائما الحكماء والعقلاء ترسيخها داخل المجتمع الذي ينتمون إليه. والغرض من الأمثال بصفة عامّة الحفاظ على الثقافة الشعبية ونقلها إلى الأجيال، ونشر المعرفة من خلال الاستفادة من تجارب ماضيّة، فالمثل الشعبي كما قال التليّ بن الشيخ له "القدرة على صياغة السلوك الإنساني في جمل قصيرة معبرة عن الظواهر الاجتماعية"[1].

هـ – الشّعر: يعد الشعر أحد الفنون الشعبية، والشعر الشّعبي أو الشعر الملحون هو كلام منظوم باللغة العامية، يعبّر عن وجدان الناس وينقل آلامهم وآمالهم، يتميّز ببساطة ألفاظه وسهولة تراكيبه، قابل للتلحين والغناء، وكغيره من الفنون الأدبية التي لاقت رواجا في المجتمعات الشعبية يعد الشعر الشعبي مظهرا من مظاهر الثقافة الشعبية لما يحتويه من مضامين ترتبط بحياة الشعب. ويتجلى الشعر من خلال ما ورد في حكاية أجير الصائغ:

"مصائب الدّهر كفى إن لم تكفي فعفـــي

خرجت من أجل رزقي رأيته متوفّـــي

[1] التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائريّ، 1990، ص 21.

كم جاهل في الثريا كم عالم متخفـــي"[1]

وفي هذه الأبيات تبرز خصائص الشعر كونه كلاما موزونا مقفى يعالج هموم الشعب الفقير الذي يكابد من أجل لقمة العيش، وينتقد الوضع الاجتماعي غير العادل حيث أن الجاهل وصل بسلطته إلى أعالي المجد بينما العالم مغمور لا يسمع به أحد.

كما وظف بيت من الشعر في حكاية الطائر الأبيض:

بحق من هذا سوارها ابكوا لحالي وحالها[2]

غرضه رثاء الحبيبة والحزن على فراقها، حيث يدعو الناس لمشاركته البكاء لفقدانها.

2 – العادات والتقاليد: العادات والتقاليد هي مجموع السلوكات والمعتقدات المتوراثة عبر الأجيال وتختلف من مجتمع إلى آخر، أمّا العادات فهي الممارسات والسلوكات التي يكررها الأفراد والجماعات بانتظام حتى تصبح جزءا من يومياتهم وحياتهم، وتختلف العادات من مجتمع إلى آخر مما يجعلها تمثل الهوية الثقافية للمجتمعات، أمّا التقاليد فهي القيم والمعتقدات والممارسات والرموز المتوارثة والتي تحظى بقيمة كبيرة داخل المجتمع، فهي تعبّر عن الذاكرة الجماعيّة للمجتمع وتساهم في الحفاظ على استمراريته، ويتميّز المجتمع العربي بثراء عاداته وتقاليده التي تميّزه عن غيره من المجتمعات، وقد برز ذلك بشكل ملحوظ في الحكايات الشعبية التي أظهرت العديد من عادات وتقاليد البيئة الشامية كالزواج والطلاق والضيافة وعادات الولادة والموت والحرف اليدوية وغيرها.

أ- عادات الزواج والطّلاق: الزواج في البلدان العربية يمتاز بمراحل مليئة بالعادات والتقاليد، وحسب الحكايات المدروسة، فالزواج في بلاد الشام كغيره من البلدان العربية يتمّ على عدّة مراحل تبدأ بالبحث عن الزوجة الملائمة، وقد تم الإشارة إلى هذه العادّة في

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص746.

[2] المصدر نفسه، ص16.

الكثير من الحكايات كحكاية الصّديق "كان الابن الوحيد لأبويه فعنيا بتربيته والسهر عليه والاهتمام به حتى أصبح رجلا، فسعيا إلى تزويجه وبعد بحث طويل عن فتاة تليق به عثروا على بنت جميلة."[1]

وبعدها تأتي مرحلة الخطبة وهي طلب يد الفتاة رسميا من أهلها "وماهي إلا أيام حتى اهتدى إلى فتاة توسم فيها الخير والصلاح فقرر خطبتها، وقعد إلى والدها يحدثه"[2]، وبعد الاتفاق على المهر يتم الزفاف "ووافق الوالد على الخطبة وعقد القران ثم صار الزفاف"[3]، وفي الحكايات ثم الحديث عن الذهاب إلى الحمّام قبل ليلة الزّفاف، وقد أشير إليه في حكاية بنت الشحاذ "وخرجت فطوم بنت الشحاذين من الحمام أميرة تعلوها ثياب الحرير، وما إن رآها الملك حتى فتن"[4]، ولا يمكن أن يتمّ الزواج دون إقامة الولائم سبعة أيام وثماني ليال "وعمّت الأفراح البلد ونصبت الزينات وأقيمت الموائد سبعة أيام وثماني ليال لا أحد يأكل ولا أحد يشرب إلا من قصر الملك"[5].

ومثلما اهتمت الحكايات الشعبية بإبراز عادات الزواج وتقاليده أشارت كذلك إلى عادات الطلاق، فقد ورد فيها أن الزوج إذا ما أراد تطليق زوجته يأخذها بنفسه إلى بيت أهلها ثمّ يصارحهم برغبته في تطليقها بعد أن يقدّم لهم مبرراته وأسبابه مثلما حدث في حكاية صديق "وطلب من زوجته أن تتهيأ لزيارة أهلها فأدركت على الفور أن في الأمر شيئا ما فاعتذرت وأكدت أنها ليست في شوق إلى أهلها ولكن الزوج أصر(...) واستقبل

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 112.
[2] المصدر نفسه، ص112.
[3] المصدر نفسه ، ص120.
[4] المصدر نفسه ، ص 465.
[5] المصدر نفسه ، ص 465.

العم صهره بالترحيب وقدّم الصهر لعمه ما حمله من الشواء(...) وعندئذ قال الصهر بهدوء "هي ابنتك وهي طالق"[1].

نستنتج من خلال إبراز الموروث الشعبي في الزواج في هذه الحكايات اعتزاز المجتمع بعاداتهم وتقاليدهم التي ترسخ قيم المودة والرحمة والكرم والتعايش السلمي حتى وإن انتهى الأمر بالطلاق وكل ذلك للمحافظة على الروابط الاجتماعية بين الأسر فيسود الأمن والاستقرار في المجتمع.

ب – عادات الميلاد والموت: تعتبر طقوس الميلاد والموت من بين أهم العادات التي تبرز الثقافة الشعبيّة لأي مجتمع، حيث تتجلى فيها القيم والتقاليد المتوارثة جيلا بعد جيل، والمجتمع السوري كغيره من المجتمعات العربيّة يحتفي بميلاد الطفل ويقيم المآدب والولائم على شرف قدومه، كما تقام له العقيقة على سنّة نبينا محمد صلى الله عليه وسلّم. والأمهات السوريات على غرار نساء العرب فإنها تعمد إلى تقميط الرّضيع حتى يستقيم عوده في أعرافهم وقد ورد ذلك في حكاية قسمة ونصيب "ولكنه أعاده إلى أمه لتودعه وتلفه بالأقماط وحزنت الأم لفراق ابنها"[2]، والقماط هو قطعة قماش تستخدم للف الرضيع بإحكام بحيث تثبت ذراعيه وساقيه بجسده، وهي من العادات المشتركة بين جميع المجتمعات العربية.

أمّا الموت فطقوسه يلفها الحزن والوقار وتخضع لما تستوجبه المعتقدات الإسلاميّة من تغسيل الميت وتكفينه ودفنه والدعاء له، مع إقامة الولائم الجنائزيّة، وقد جاء وصف طقوس الجنازة نادرا في الحكايات ولعلّ ذلك يعود إلى أنّ الحكايات أوجدت للتسليّة عن النّاس وليس لبث الحزن فيهم، ومن خلال تتبعنا لطقوس الموت في الحكايات الشعبيّة وجدنا موضعا ذكرت فيه الجنازة، ورد ذلك في حكاية "البغي الطهور" "وبدأت الخادمات

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص125.

[2] المصدر نفسه ، ص 795.

الاستعداد لتجهيز السيدة ودفنها، فاستدعين غاسلة خاصة لتعمل في غسلها وتكفينها وقد حضر بعض أقارب السيدة وقريباتها"[1].

ج – عادات الضّيافة: تعتبر الضّيافة قيمة أصيلة ومتجذرة في الثقافة الشعبية العربية عامّة والسّورية خاصة، وهي لا تقتصر على تقديم الطعام والشراب فحسب، بل تعنى بالطريقة والكيفيّة في التعامل مع الضيف، فالكرم وحسن الضيافة من شيم العرب، ومن أصول الضيافة الحفاوة والاستقبال الحار عند الترحيب والسؤال عن أحوال الضيف ثم التدرج في الضيافة بدءا بالقهوة وأفضل الأطباق من الأكل في حالة بقاء الضيف، حتى لو كان المضيف فقيرا فإنه يلجأ للاستدانة لإكرام ضيفه، وكما يستقبل الضيف بالحفاوة فإنه يودع بحفاوة وعند مغادرته يطلبون منه البقاء لأيام أخرى، كذلك مع دفعه لوعد المضيف بتكرار الزيارة مرة أخرى.

وقد جاءت الحكايات الشعبية ثرية بهذا الموروث الشعبي الذي يعكس أصالة المجتمع السوري كما هو الشأن في حكاية صديق "استقبل العم صهره بالترحيب، وقدم الصهر لعمه ما حمله من شواء فشكره ثم اجتمعت الأسرة كلها، العم والحماة والصهر والزوجة وأخواتها وإخوتها وتنوعت الأحاديث واختلفت الموضوعات"[2].

وجاء كذلك في حكاية الفأرة والذهب "ولكن ذات يوم فوجئت بإحدى أختيها تزورها فرحبت بها وفرحت لزيارتها فأكرمت وفادتها، قدمت لها الطعام والثياب ثم رافقتها إلى الباب لتودعها"[3]، وقد تمّ الإشارة في هذا المقطع إلى بعض عادات الضيافة إلى جانب الترحيب والطعام وهو تقديم الهدايا وإيصال الضيف إلى باب المنزل لتوديعه، وكلها عادات أصيلة تعبّر عن رقي المجتمع السوري والعربي بصفة عامة.

---

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 246.

[2] المصدر نفسه، ص116.

[3] المصدر نفسه، ص 107.

د – الطقوس الدينيّة: هي كل الممارسات والمعتقدات الدينية التي يؤمن بها جماعة معيّنة، وباعتبار المجتمع السوري مجتمعا مسلما فقد تمت الإشارة إلى الكثير من الطقوس الإسلامية خاصة العبادات كالصلاة والصوم والحج في الحكايات الشعبية كحكاية البغي الطهور "كانت تعيش في قصر كبير عجوز أمضت عمرها في الصوم والصلاة والعبادة، وكذا في حكاية حماة من خشب "وضع على رأسها ملاءة وجعلها على هيئة من يصلي لله ويسبح"[1]، وفي حكاية الزيت والقرد جاء ذكر الحج "أراد أحد الأشخاص أداء فريضة الحج مع زوجته وكان عنده في الدار عشر صفائح من الزيت"[2]، إلى جانب العديد من المواضع الأخرى التي تم ذكر فيها العبادات بمختلف أنواعها.

في حين تم ذكر بعض الصفات التي تتنافى مع ديننا، كالغيرة والحسد في حكايات كثيرة كحكاية الفأرة والذهب أين تم ذكر الحسد "ولما حضرت أختاها وشاهدتا ما نعم به أختهما من عز ورفاهية اشتعل داخلها الحسد وعشش في قلبيهما البغض"[3]، وهدف الحكاية نبذ الحسد.

هـ– الأرقام في العادات والتّقاليد : للأرقام مكانة كبيرة في الثقافة الشّعبيّة فهي تجاوزت وظيفتها الرياضيّة وأصبحت ذات مدلولات ترتبط بالحظ والخرافة والتقاليد في العديد من الثقافات الشّعبيّة، والثقافة العربيّة تميّزت عن غيرها من الثقافات باصطفاء مجموعة من الأرقام وجعلتها جزءا مهما من الطقوس والعادات والتّقاليد، يأتي على رأس هذه الأرقام من حيث الأهميّة؛ رقم سبعة (7) ويرتبط هذا الرقم في الثقافة الشعبيّة العربيّة بالحظ والفأل الحسن، ولهذا الرقم تواجد غزير في الدّين الإسلاميّ وربما هذا أحد أسباب تواجده في الثقافة الشّعبيّة، "فالقرآن يحدّثنا عن سبع سموات وسبعة أبواب للجحيم، وسبع سنوات

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص266.

[2] المصدر نفسه ، ص312.

[3] المصدر نفسه، ص 104.

عجاف مرت بها مصر أيام نبوة يوسف عليه السلام، وسبع ليال سخرت فيها الريح المهلكة لقوم عاد وسبعين رجلا جمعهم موسى عليه السلام لميقاته مع ربه"[1].

وفي الكون نجد ألوان الطّيف سبعة وعدد البحار سبعة والطفل لا يكتمل نموه إلا في الشهر السابع، فأهميّة هذا العدد في الثقافة الشعبيّة تعود لتكراره في الكون والمعتقدات الدينيّة، فأخذه العرب للفأل الحسن وتبركوا به وأصبح جزءا من معتقداتهم، وفي حكايات شعبيّة تكرر هذا العدد بشكل ملحوظ ما يعكس مكانته في الموروث الشّعبي فجاء ذكره لتحديد أيام الأفراح والولائم التي تدوم سبعة أيام كما في حكاية الملك وابن أخيه "وهكذا أقيمت الأفراح وأعلن في المملكة سبعة أيام وثماني ليالي لا أحد يأكل ولا أحد يشرب إلا من قصر الملك"[2]، وتعتبر إقامة الأفراح لمدة سبعة أيام عادة متأصلة في الشعوب العربيّة لازالت متمسكة بها إلى اليوم.

كما جاء ذكر هذا العدد في حكاية الولد الأقرع "وأن يكون الملك غارقا تحت سبعة بحور"[3]، وكذا في حكاية الفقير والبئر "وكان لهذا الفقير سبعة أولاد"[4] وكذا في حكاية الغزالة "هيهات لا يمكنك قتلي فروحي محفوظة في قلب فيدوس صاحب سبعة رؤوس"[5] ، إلى جانب العديد من الحكايات وهذا إن دلّ على شيء فإنّما يدلّ على أهميّة هذا الرقم في الثقافة الشّعبيّة العربيّة التي تؤمن بالغيبيات وتأثير الأرقام في العالم المحسوس.

وإلى جانب العدد سبعة تكرّر العدد ثلاثة (3) بشكل ملحوظ وهو يرمز في الثقافة الشعبيّة للكمال، ويرجع هذا الاعتقاد لرمزيته في الثقافة الإسلاميّة فتمام الوضوء أن يغسل

---

[1] صلاح عبد الستار الشهاوي: الأعداد ومدلولاتها الرمزيّة والاعتقاديّة في التراث العربيّ والإسلاميّ، المجلة العربيّة ، دار المجلة العربية للنشر والتوزيع، ع 436 ،2014 ، ص 95 .

[2] أحمد زياد محبك : حكايات شعبيّة ، ص 795.

[3] المصدر نفسه، ص 761 .

[4] المصدر نفسه، ص 802 .

[5] المصدر نفسه، ص 197 .

كلّ عضو ثلاث مرات وعدّة المطلقة ثلاثة شهور ورفع القلم عن ثلاث، فكلّ المواضع تدلّ على التمام والكمال، فجاء استعماله في الثقافة الشعبيّة في السياق نفسه، وفي حكايات شعبيّة استخدم العدد ثلاثة في أغلب الحالات لتحديد عدد الأبناء فجاء في حكاية الأخوات الثلاث وحكاية الوصيّة: " كان لأحد الرجال ثلاثة أولاد"[1] وحكاية بنت الملك "كان لأحد الملوك ثلاثة بنات يحبهن حبا جما"[2].

وفي حكاية الفأرة والذهب ورد: "يحكى أن ثلاث أخوات فقيرات ماتت أمهن"[3]، إلى جانب عديد المواضع وكلّ هذا يدلّ على أنّه رقم متأصل في الوعي الجمعي العربيّ بسبب ارتباطه العميق بالدين والمعتقدات فهو يعبّر عن سعي الفرد العربيّ إلى المثاليّة والكمال في كلّ شؤون حياته، وهكذا تكون الأرقام جزء لا يتجزأ من الثقافة الشعبيّة العربيّة.

3- المهن والحرف اليدوية: تتمتّع البلاد العربيّة بتراث غني ومتنوع من المهن والحرف اليدويّة، التي تعكس تاريخها العريق وتنوعها الثقافي، وهذه الحرف ليست مجرد وسيلة لكسب القوت فقط وإنما هي جزأ لا يتجزأ من الموروث الشعبي.

عرف العرب منذ القديم بممارستهم للتجارة حتى قبل الإسلام كم جاء في الآية الكريمة من سورة قريش ﴿لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ﴾(قريش آية 1 و2). وقد ازدادت التجارة ازدهارا مع الفتوحات وتوسّع الدّولة الإسلاميّة، وبقيت منتشرة إلى يومنا هذا وقد وثقت الحكايات الشعبيّة امتهان العرب للتجارة حيث لا تكاد تخلو حكاية من تاجر كحكاية التاجر البخيل.

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 150.

[2] المصدر نفسه ، ص 180.

[3] المصدر نفسه، ص102 .

أما الحرفة الأكثر انتشارا فهي حرفة صياغة الذهب وقد عُرف السوريون والعرب بصفة عامة منذ العصور القديمة بإتقانهم لهذه الحرفة التي تمثل دخلا لبعض العائلات، فالحرفة والذهب كلاهما جزء من الثقافة الشعبية، لذلك وجدنا أن أغلب الحكايات تناولت حرفة الصياغة كحكاية "ساقية من عسل وساقية من سمن" التي جاء فيها: "وقدم الشاب إلى الصائغ جوهرة نادرة، طلب منه أن يصوغ عليها خاتما يزين به بنصره لا يصغر عنه ولا يكبر"[1].

إلى جانب ذلك تمّ ذكر العيد من الشخصيات التي تمتهن حرفا يدوية كالطحان والخباز والنجار والحلاق والحداد، كما جاء ذكر بعض الحرف التي تختص بها النّساء، كغزل القطن وقد جاء ذكرها مرتين إحداها في حكاية " الفأرة والذّهب "يحكى أنّ ثالث أخوات فقيرات ماتت أمهن، فلم تترك لهن سوى المغزل فكنّ يغزلن عليه القطن من أجل أن يعشن"[2].

ما جاء في حكاية الأخوات الثلاث "وكان في البيت ثلاث أخوات صبابا فقيرات يعملن في غزل القطن من أجل تأمين لقمة العيش فقد توفي عنهن والدهن"، ونلاحظ من خلال هاذين الموضعين أن عمل المرأة لم يكن لأجل التسلية وإنما بسبب حاجتها للمال، وفي ذلك إشارة أن المرأة قوّام عليها الرجل في مأكلها وملبسها.

إلى جانب ذلك عملت المرأة كقابلة فهي من تقوم بتوليد النساء وفي الحكاية يطلق عليها اسم "الداية"، وقد ورد ذكرها في حكاية "بنت الداية" التي جاء فيها: "كان لإحدى القابلات بنتا وحيدة.."[3] ،وهذا ما يثبت أنّ للمرأة دورا كبيرا في الحياة الاجتماعيّة.

---

[1] أحمد زياد محبك: حكايات شعبية، ص 50.

[2] المصدر نفسه، ص 102.

[3] المصدر نفسه، ص 319 .

ومما سبق نجد أن الثقافة الشعبية في حكايات شعبية تجلت من خلال عناصر ثقافية مختلفة تمثلت في الثقافة المادية واللامادية وكانت دلالتها في الحكاية تعكس قيم المجتمعات العربية ثقافيا واجتماعيا، فنقلت لنا خصائصه، عاداته وتقاليده.

خاتمة

خاتمة

ومن خلال بحثنا توصلنا إلى مجموعة من النتائج أهمها:

– يتسع مفهوم الثقافة الشعبية إلى كل ما يتعلق بسلوك الفرد، فهي تلبي احتياجاته المتعددة، وتظهر مظاهرها من خلال تمثل المجتمعات لها، والثقافة تختلف وتتشابه وتنتقل عبر الأجيال. فالثقافة الشّعبيّة العربيّة لها مميزات وخصائص وهي تمثل الهوية الثقافية للشعوب وتحفظ تراثه، وتنقسم إلى ثقافة مادية ولامادية.

– تعد الحكاية الشعبية فن أنتجه الشعب عن طريق سردها مشافهة وانتقالها عبر الأجيال، وتمتاز بخصائص أهمها مجهولية المؤلف، عامية اللغة، المشافهة، والخيال والعجائبية والواقعية، وهي تحمل القيم وتحفظ الذاكرة الشعبية، وهي تختلف في أنواعها وتحتوي الكثير من مظاهر الحياة الشعبية فانفاتحها على مجالات مختلفة يستدعي توظيف ثقافات شعبية مختلفة.

– من خلال دراستنا لتجليات الثقافة الشعبية في كتاب "حكايات شعبية" لأحمد زياد محبّك وجدنا الكتاب كنز معرفي مهم يزخر بالثقافة الشعبية، وأنّ هذه الثقافة تمثّلت في ذلك الموروث الشّعبيّ الذي تتناقله الأجيال وتمارسه في حياتها اليوميّة كجزء أصيل من هويتها.

– قد تجلت الثقافة الشعبية في ما هو مادي ولاماديّ، فالأوّل يشمل فن العمارة والمبانيّ إذا عرّفنا من خلاله مكونات البيوت العربية التي احتوت على الجمال بزخرفتها وأفرشتها وأوانيها، وكذلك اللباس بالنسبة للرجال والنساء فقد عبّر عن هويتهم الثقافية.

– من بين مظاهر الثقافة المادية نجد الطعام والولائم، والأدوات، المستخدمة في الحياة اليوميّة وغير ذلك، وقد حملت هذه الثقافات دلالات مختلفة تعلقت بوصف الواقع الاجتماعي، والاقتصادي، وعبّرت عن نمط المعيشة. أمّا الثّاني فيشمل الأدب الشعبي

خاتمة

بمختلف أشكاله من حكاية ومثل ولغز، وذلك من باب حفظ هذه الفنون الأدبية الشعبية من الضياع ونقلها للأجيال.

– إن توظيف المثل الشعبي في الحكاية الشعبية يجعلها أكثر تعبير عن تجارب الشعوب وكما نجد العادات، والتقاليد والمهن والحرف، التي عكست قيم أخلاقية وثقافية كحسن الضيافة والولائم.

– كما توصلنا إلى أن الحكاية الشّعبيّة العربيّة تجنح في سردها للأحداث لعالم الخيال وما ينطوي عليه من خوارق وعجائب وأخبار مسليّة، فهي تجمع بين التّسلية والمتعة والتشويق، وإلى جانب ذلك فالحكاية بانسيابيتها وقابليتها لنقل الرّسائل الأخلاقية والاجتماعيّة وحتى السياسية كانت قناة ناقلة لأفكار الشّعوب وعاداتهم وتقاليدهم وقيمهم، وذلك ما جعلها تأخذ وظيفة المعلّم الحريص على نقل خبرات الأجداد إلى الأبناء، فساهمت في حفظ الثقافة الشّعبية وحمتها من الاندثار من خلال تقديم رسائل إصلاحيّة وتقويميّة للمجتمع عبر قوالب اجتماعيّة مألوفة ما يسهم في وصول هذه الرّسائل .

– تساهم الحكاية الشعبي بنقلها للثقافة الشعبية في الاعتزاز بالهويّة الثّقافيّة وترسيخها ونشرها للعالم دليل على وعي العامّة بمدى أهميتها في إثبات وجودهم الحضاريّ والثقافي وحتى الاجتماعيّ.

ونحن نثمن هذا الكتاب الذي نقل الحكايات إلينا باللغة الفصيحة مع جهد المؤلف بإضافة تعليقات تؤكد هدف الحكايات، وعبر هذه الحكايات نقل إلينا نماذج مختلفة من الثقافة الشعبية، لذلك تظلّ الحكاية الشّعبيّة كنزا فريدا يعكس جمال الموروث الشّعبيّ وتعبّر عن اهتمامات النّاس وآمالهم وآلامهم وتطلّعاتهم في بناء حياة يسودها الأمان والمحبّة والسّعادة.

خاتمة

وختاما كلّ الذي نرجوه أن نكون قد سلّطنا الضّوء ولو على جانب من جوانب الحكاية الشّعبيّة وهو الثقافة الشعبية، من أجل التعريف بموروثنا المتجذّر في عمق التّاريخ. وبالرغم من بحثنا في هذا المجال ووصولنا إلى مجموعة من النّتائج إلّا أنّه ما يزال بحاجة إلى الدّراسة والتّنقيب في جوانبه أكثر، فالحكايات الشعبية تحمل الكثير من رموز الثقافة، وإن الاهتمام بالحكاية الشعبية مثلما فعل أحمد زياك محبّك يعد خطوة مهم لترسيخ الثقافة الشعبية.

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم:

❖ القرآن الكريم: برواية ورش لقراءة نافع، دار الغد الجديد للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، (د، ت).

أولا: المصادر:

1- أحمد زياد محبّك: حكايات شعبية، اتحاد الكتاب العرب، دمشق،(د ط)، 1999.

ثانيا: المراجع:

أ - الكتب العربية:

2- تركي حمد: الثقافة العربية في عصر العولمة. دار الساقي، لبنان،(د ط) ،1999 .

3- التلي بن الشيخ: منطلقات التفكير في الأدب الشعبي الجزائري، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1990.

4- خضر أحمد عطاء الله: دراسات في آفاق الفكر الإسلامي. دار الفكر للنشر والتوزيع، دبي، (د ط) 1990.

5- رابح العوبي: أنواع النثر الشعبي. منشورات جامعة باجي مختار، عنابة، (الجزائر)، (د، ط)، (د، ت، ط).

6- روزلين ليلى قريش: القصة الشعبية الجزائرية ذات الأصل العربي. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط).

7- سامية حسن الساعاتي: الثقافة والشخصية، بحث في علم الاجتماع الثقافي. دار النهضة العربية، بيروت، (د، ط)، 1983.

8- شوقي عبد الحكيم: الحكايات الشعبية العربية، دار هنداوي،مصر،ط2 ،2018 .

9- عفيف بهنسي: التراث الأثري السوري، مطابع الهيئة السورية للكتاب، (د ط)، 2014

10- طه عبد الرحمن: حوارات من أجل المستقبل. منشورات الزمن، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، (د، ط).

11- مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، ط4، 1984.

12- محمد سعيدي: الأدب الشعبي بين النظرية والتطبيق. ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، (د، ط)، 1998.

13 مرسي الصباغ: القصص الشعبي العربي في كتب التراث. دار الوفاء للطباعة والنشر، (د ط)، 1999.

14- نبيلة إبراهيم: أشكال التعبير الشعبي. دار نهضة مصر للطبع والنشر، القاهرة، (د، ط، ت)

15 - هشام عبد الله ورو: من فنون الشعر الشعبي في تهامة، وزارة الثقافة والسياحة، صنعاء،2004.

16- عبد الوهاب الرقيق: أدبية الحكاية المثلية في كليلة ودمنة لعبد الله بن المقفع، دار صاد للنشر والتوزيع، تونس، 2007.

ب . الكتب والمؤلفات المترجمة:

17- أرمان ماتلار: التنوع الثقافي والعولمة، ترجمة خليل أحمد خليل، دار الفارابي، ط1، 2008.

18- إدوارد سعيد: الثقافة والإمبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، (د، ط)،1997

19- جون ستوري وآخرون: في الثقافة الشعبية ، ترجمة خالد الحامد ، منشورات المتوسط، إيطاليا، ط1، 2017.

20- فروريش فون ديرلاين: الحكاية الخرافية، ترجمة نبيلة إبراهيم، مكتبة غريب، مصر، (د، ط)، (د.ت، ط).

ثانيا : المعاجم والقواميس:

21- أحمد بن فارس. مقاييس اللغة، ج1، تحقيق عبد السلام هارون، دار الفكر للطباعة والنشر، 1979. (د، ط).

22- ابن منظور: لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط3، 1975

23- الخليل بن أحمد الفراهيدي. كتاب العين. تحقيق عبد الحميد الهنداوي. دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 2003.

24- إيكه هولتكرانس: قاموس مصطلحات الاثنولوجيا والفلكلور، ترجمة محمد الجوهر وحسن الشامي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، ط2 ، (د، ت، ط).

ثالثا : الدوريات:

أ- المجلات

25- آسيا محمد محمد المجربي: "الحكاية الشعبية في مديرية العرش"، مجلة جامعة بيضاء، المجلد 3، ع 2، أغسطس 2021.

26- أمينة بلهاشمي، مساعدية نسيبة: "الثقافة والثقافة الشعبية والتراث مفاهيم وتقاطعات"، مجلة مقامات، مج 4، ع2، 2020.

27- بشرى منصور: "الأدوات التراثية والمأكولات الشعبية في كتاب «التراث الشعبي الحمصي» لـ مصطفى الصوفي"، مجلة الثقافة الشعبية، ع32.

28- التجاني مياطة: "دور التراث المادي واللامادي لمجتمع واد سوف"، مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية، العدد 06، جامعة الواد، الجزائر، أبريل، 2014.

29- حسن بدوح: الثقافة الشعبية العربية وتحديات الثورة الرقمية، ندوة الشارقة العلمية الدولية "الثقافة الشعبية الحاضر ومسارات المستقبل"، أبو ظبي، 2020..

30- سهام سديرة: القصص الشعبي الجزائري أهميته وأنواعه، مجلة العلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، ع38، المدرسة العليا للأساتذة آسيا جبار، قسنطينة، جوان 2018.

31- سلوم درغام سلوم: "بيوت الغمس في حماه السورية ولريفها"، الثقافة الشعبية، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، البحرين، ع32.

32- صلاح عبد الستار محمد الشهاوي: "الأعداد ومدلولاتها الرمزية والاعتقادية في التراث العربي والإسلامي"، المجلة العربية، دار المجلة العربية للنشر والتوزيع، ع436، 2014 .

33- صلاح عبد الستار محمد الشهاوي. الحلي والزينة في الثقافة العربية والشعبية، مجلة الثقافة الشعبية ،المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، البحرين، ع9 ،2014 .

34- عاطف عطية: "الثقافة الشعبية بين المادي واللامادي". مجلة الثقافة الشعبية، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع ، البحرين، ، ع31، 2015 .

35- عمر قبايلي: "مدخل للثقافة الشعبية العربية". الأثر مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، الجزائر، ع7، 2008.

36- عبد الله بوغوتة وابتسام عبالسي: مجلة البحث في العلوم الإنسانية والمعرفية، ع 1، أبريل2024.

37- محمد بزيكا: "مفهوم الثقافة الشعبية بين المثقف العضوي والتقليدي". مجلة آفاق، الصادرة عن اتحاد كتاب المغرب، السلسة الجديدة، ع9، يناير 1982 .

38- محمد جميل: "خصائص الثقافة"، الجامعة المستنصرية، كلية الآداب، قسم الأنثربولوجيا وعلم الاجتماع، العدد 8.

39- محمد سموري: الذاكرة الجمعية ومفهوم التراث الحيوي ، مجلة الثقافة الشعبية، المؤسسة العربية للنشر والتوزيع، البحرين ، العدد 14، 2011.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
إهداء	
شكر و عرفان	
مقدمة	أ
الفصل الأول: الثقافة الشعبية والحكاية الشعبية	
أولاً: الثقافة الشعبية	10
1- مفهوم الثقافة الشعبية	10
2- خصائص الثقافة الشعبية	18
3- تجليات الثقافة الشعبية	22
ثانياً: الحكاية الشعبية	25
1- مفهوم الحكاية الشعبية	27
2- خصائص الحكاية الشعبية	29
3- أنواع الحكاية الشعبية	33
الفصل الثاني: تجليات الثقافة الشعبية في كتاب "حكايات شعبية" لأحمد زياد محبّك	
أوّلا – الثقافة الشّعبيّة الماديّة	42
1- العمارة والمباني	42
2- اللباس	46
3- الطعام والولائم	48
4- الأدوات	51
ثانيا : الثّقافة الشّعبيّة اللاماديّة	55
1- الأدب الشّعبيّ	55
2 – العادات والتّقاليد	62
3- المهن والحرف اليدوية	68
خاتمة	72
قائمة المصادر و المراجع	76
فهرس الموضوعات	82
ملخص	

ملخّص:

يتناول هذا البحث موضوع " تجليات الثّقافة الشّعبية في كتاب حكايات شعبيّة لأحمد زياد محبّك "، وتهدف هذه الدراسة إلى تقفي مظاهر الثّقافة الشّعبيّة في الحكاية الشّعبيّة بشقيها الماديّ واللامادي باعتبارها جزء لا يتجزأ من هوية الشّعوب والأمم المتوارثة جيلا بعد جيل .

وقد اعتمدنا في الدّراسة على المنهج الانثربولوجيّ، فقسمنا البحث إلى مقدّمة وفصلين نظري وتطبيقي، حيث تناولنا في الفصل الأول مفاهيم الدّراسة والمصطلحات المتعلّقة بها وهي الحكاية الشّعبيّة والثقافة الشّعبية،أمّا في الفصل الثّاني فقمنا بدراسة أشكال الثقافة الشّعبيّة في كتاب حكايات شعبيّة لأحمد زياد محبّك.

اختتمنا البحث بخاتمة ركزنا فيها على أهم النتائج المحصّل عليها،مثل اعتبار الحكاية الشّعبيّة مظهرا من مظاهر الثّقافة الشّعبيّة وحاملة لها في الوقت عينه،باعتبار أنّها ساهمت منذ وجود الإنسان في حفظ تراثه ونقله للأجيال .

الكلمات المفتاحيّة :

الثقافة الشّعبيّة ـ الحكاية الشّعبية ـ الموروث الثقافيّ .

ABSTRACT:

This research deals with the topic "Manifestations of Popular Culture in Ahmed Ziad Mahbek's book Popular Tales". This study aims to trace the manifestations of popular culture in the popular tale in both its material and intangible aspects as an integral part of the identity of peoples and nations handed down from generation to generation. We divided the research into an introduction and two theoretical and applied chapters, where in the first chapter we dealt with the concepts of the study and related terms, namely folktale and popular culture, while in the second chapter we studied the forms of popular culture in the book Popular Tales by Ahmed Ziad Mahbek.

We concluded the research with a conclusion in which we focused on the most important results obtained, such as considering the folktale as a manifestation of popular culture and a carrier of it at

the same time, considering that it has contributed since the existence of man in preserving his heritage and passing it on to generations.

Keywords:

Popular culture, folktale, cultural heritage.